على قمم جبال الإنديز

رحلة إلى بيرو والإكوادور

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
تلفون: ٤٨٢٤٨٦٥ - ٤٨٢٤٩٨٣

مقدمــــة

الحمدلله رب العالمين، الرحمن الرحيم، وبه نستعين، ونصلي ونسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإنني قد زرت دولتي بيرو والإكوادور وهما واقعتان في جبال الانديز أعظم الجبال الممتدة في القارة الأمريكية الجنوبية.

وكانت زيارتي لهما أثناء جولة فما يصح أن يسمى بالوجه الآخر للقارة أي الوجه المطل على المحيط الهادىء مثل تشيلي وبيرو والإكوادور وكولومبيا.

وقد دونت خلال تلك الزيارة مذكرات يومية عما شاهدته أو لاحظته في البلدين وبخاصة ما يتعلق بالأماكن التي رأيتها من جبال الأنديز وبعضها واقع في قمم تلك الجبال مثل مدينة كيسكو في بيرو التي هي عاصمة شعب الانكا الذي خلف حضارة أمريكية راقية مستقلة عن الحضارات الأخرى التي نمت وترعرعت في العالم القديم.

ومثل (كيتو) عاصمة جمهورية الإكوادور التي لا يستطيع الساكن فيها أن ينام الليل الا على مدفأة تتقد بسبب برودتها طوال الدهر رغم وقوعها تحت خط الإستواء، ولقد عولت على المشاهدات الشخصية والحصول على المعلومات الميدانية ولم احفل بتدوين ما جاء في الكتب والمراجع التي يستطيع أن يحصل على ما فيها من هو قاعد في بيته، جالس بين كتبه.

وعلى أية حال فإن هذا الكتاب من كتب عدة محاولة قصدت من تأليفها أن تسد ركنا خالياً من أدب الرحلات في مكتبتنا العربية المعاصرة وأرجو أن يكون في عملي هذا بداية لتحقيق ذلك.

وكان زميل السفر ورفيق الرحلة الأخ الصديق الرائد عبدالله بن عبدالرحمن العريفي ونعم الصاحب في السفر هو جزاه الله خيراً.

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

في بيـرو
بلاد الحضارة القديمة

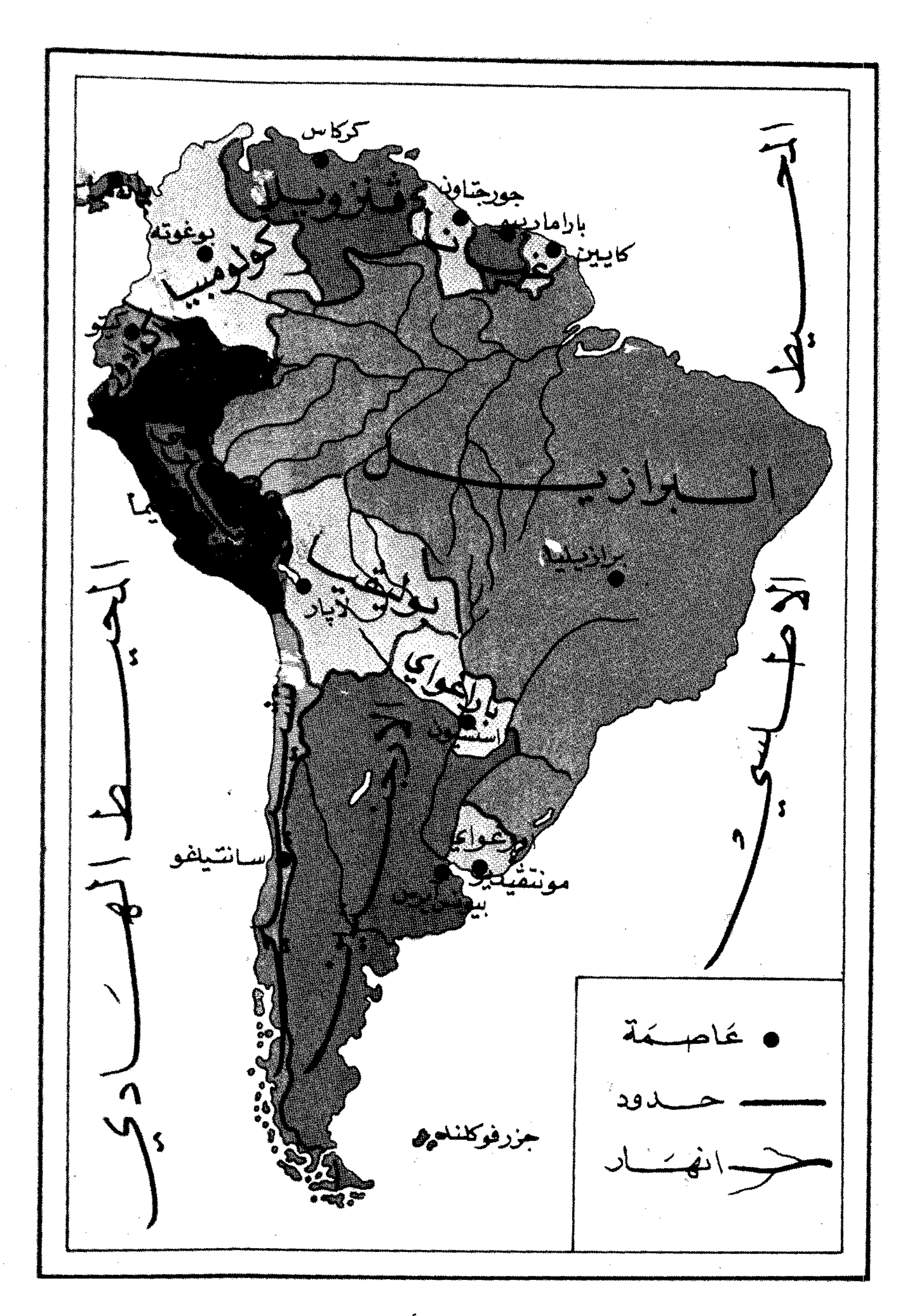

موقع بيرو من القارة الأمريكية الجنوبية

قبل الوصول إلى بيرو :

لابد من كلمة قصيرة توضح بعض الأشياء المهمة عن بيرو قبل الوصول إليها والأخذ بفكر القاريء الكريم عند اصطحابه للسياحة فيها.

وهي كلمة قصد منها الإعلام القصير والتذكير بشيء من ماضي هذه البلاد العريقة وحاضرها القريب دون اللجوء إلى معمعات البحوث الدراسية المدعمة بالإحصاءات والمقارنات فذلك محله غير هذا الكتاب والله أعلم بالصواب.

تقع (بيرو) في غرب القارة الأمريكية الجنوبية يحدها من جهة الجنوب بوليفيا وتشيلي ومن جهة الشرق البرازيل وفي الشمال والشمال الشرقي كولومبيا والإكوادور.

وتتألف من أراضٍ ذات طبيعة مختلفة، بل متباينة في بعض الأحيان كالسواحل الجافة جفاف الصحارى القاحلة على ساحل المحيط الهادىء إلى الغابات الكثيفة الموحشة حيث بدايات حوض الأمازون الشهير إلى الجبال الشاهقة الخصبة ذات الوديان الخضر التي هي جزء من سلسلة جبال الأنديز.

وكانت بلاد بيرو قبل الاكتشافات الأوروبية تحتضن أرقى حضارة أمريكية خالصة في العالم الجديد آنذاك.

فقد كانت حضارة الإنكا في أوج ازدهارها عندما وصل الأسبان إلى تلك الأراضي.

وهي حضارة خالصة للأمريكيين، نشأت في معزل عن الحضارات العالمية الأخرى التي كانت موجودة آنذاك وقد أقامت المباني الفاخرة، والطرق المنقاة والجسور وقنوات الري.

وسوف يأتي الكلام في اليوميات على مشاهد من مخلفات تلك الحضارة.

ومع ذلك لم تصمد حضارة الإنكا لغزوات المغامرين الأسبان. ذلك بأن شعب الإنكا يعتقد أن الامبراطور (الإنكاني) أو الإنكا كما يسمونه أيضاً هو ابن الشمس ولذلك يقدسونه وكانوا يعدون ثلاثة عشر امبراطوراً حكموا هذا الشعب وهو ينشيء حضارته الخاصة قبل مجيء الاسبان.

وعندما غزا الاسبان (بيرو) في عام ١٥٣٢م وجدوا حياة شعب الانكا في غاية التنظيم ومع ذلك سهل على الاسبان الإستيلاء عليها

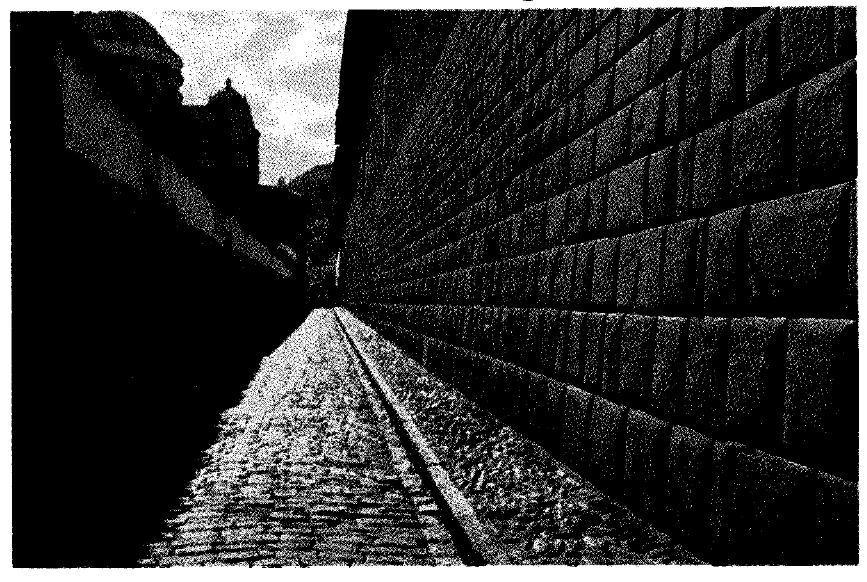

الجدار الأيمن هو من بقايا أبنية الإنكا في مدينة كيسكو بني قبل ستة قرون

عندما نجحوا في قتل الامبراطور الذي يقدسه الشعب ولم يكن الشعب قد أعد للقتال بمعنى أنه لم يكن بطبيعته أو طبقاً لما توحي به فلسفته في الحياة شعباً محباً للقتال.

وحتى بعد أن قضى الاسبان على حضارة الإنكا المتميزة هنا لم تقل أهمية بيرو إذ اتخذوها فترة طويلة قاعدة لاستكشاف بقية أنحاء القارة الأمريكية الجنوبية واستعمارها، ثم صارت مركزاً إدارياً ومرجعاً لحكام الأقاليم الأخرى.

ويبلغ عدد السكان في (بيرو) ثمانية عشر مليوناً وعاصمتها (ليما) التي يبلغ سكانها ستة ملايين انسان.

وتبلغ مساحة بيرو مليونا وثلثمائة وستة وثلاثين الف كيلو متر مربع. ونالت استقلالها عن أسبانيا في عام ١٨٢٩م.

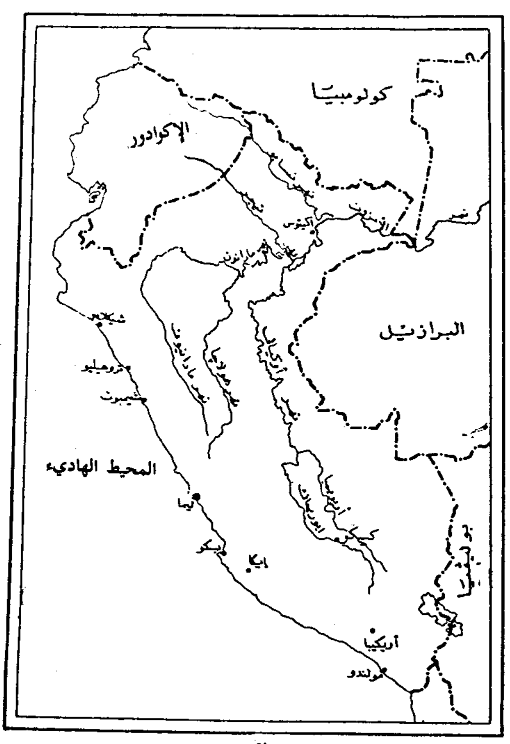

خريطة بيرو

يوميات الرحلة

في مطار ليما :

حطت الطائرة البيروانية في الساعة الثانية الا ثلثاً بعد منتصف الليل بتوقيت سانتياجو عاصمة تشيلي التي قدمنا منها ويساوي ذلك الساعة الحادية عشرة والنصف بتوقيت بيرو فوقتها يتأخر عن وقت سانتياجو ساعتين.

ونزلت في مطار مستطيل المدارج غير واسع ولا جميل بالنسبة إلى المطارات الفاخرة في فنزويلا والبرازيل والأرجنتين.

وأول من كلمني في هذا المطار ضابط الجوازات وكان أمامي صف طويل من القادمين لم يطل وقوفه عنده إذ كان هو وزميل له يسرعان في ختم الجوازات. وأكثر القادمين من الأمريكيين الذين لا غبار عنده على جوازاتهم. وعندما رأى جوازي دهش لقلة الجوازات السعودية التي تعرض عليه واستغرب الجواز لسبب لا أعرفه فرفع رأسه وغير من نظراته «الروتينية» التي كان ينظر بها إلى سائر الجوازات من قبل وأخذ يلقي اليَّ بعبارات الترحيب وقال وهو يقلب صفحاته إن العالم كله في جوازك هذا.

وكانت فيه أختام أو سمات دخول لدول حول العالم في ست قارات كنت قد مررت بها قبل ابتداء هذه الرحلة الحالية إلى أمريكا الجنوبية.

وقد لفت تصرفه هذا نظر زميله وهو يرتدي لباساً عسكرياً فترك الجواز الذي معه وأخذ ينظر إلى جوازي ثم أعاده وهو يلقي اليَّ بالتحية العسكرية.

ومن مظاهر الترحيب هذه عند ضباط الجوازات انتقلنا إلى قاعة

الجمارك وكان جميع العاملين فيها من النساء ويرتدين زياً عسكرياً فلم يفتحن الحقائب عندما اطلعن على جوازي السياسي.

ولذلك أسرعت إلى مكتب عند البوابة الخارجية لتأجير الفنادق وكان الذين يعملون فيه من النساء أيضاً فحجزنا من عندهن فندقاً في وسط المدينة اسمه (كونتنتال هوتيل) وركبنا بسرعة سيارة أجرة إلى ذلك الفندق.

وكان الوقت ليلاً متأخراً والأنوار ليست ساطعة لذلك لم تتضح لنا معالم الطريق من المطار إلى المدينة إلاّ أنها على وجه العموم ليست فاخرة ولا مبهجة.

وجدنا في مكتب الاستقبال في الفندق فتى بيروانيا مهذباً أعجبنا منه ذلك إلا أن مستوى فندقه لم يعجبنا فقد وجدناه في مستوى فنادق الدرجة الثانية وأجرته تدل على ذلك فهي تسعة عشر دولاراً أمريكياً والا كونه لم يحسم الأمر مع سائق الأجرة الذي احضرنا من المطار فقد طلب السائق سعة دولارات أمريكية وأردنا أن نتأكد من موظف الفندق عن مقدار الأجرة المعتادة فلم يخبرنا لأننا ظننا أنها أقل من ذلك لقرب المسافة.

ولم نكد نستقر في الفندق حتى سألنا الموظف عما إذا كان يمكننا أن نتمشى قليلاً في قلب المدينة المحيط بالفندق في هذه الساعة المتأخرة وهي بعد منتصف الليل بنصف ساعة؟ فأجاب: ذلك ممكن ولا يخشى منه ضرر شرط أن تتخففوا من النقود وأن تتركوا ساعاتكم في الفندق. فذلك ما يخشى عليه وماعا.ا ذلك لابأس به.

جولة بعد منتصف الليل :

ربما لا يدرك متعة الجولة في مدينة يصل إليها المرء لأول مرة إلا من جرب ذلك. ولذلك كنا نسارع إليه في بعض الأحيان رغم كوننا وصلنا لتونا من سفر متعب. وكون الوقت متأخراً لاسيما إذا كانت مدينة نائية لم يكن المرء يطمع بالوصول إليها في مبتدأ حياته.

صرفنا من صاحب الفندق دولارات قليلة لأننا نخشى أن يغبننا في السعر فأعطانا خمسمائة وستة من عملتهم بالدولار الأمريكي الواحد.

وعملتهم اسمها (الصَّوْل) والصَّول: تعني بالإسبانية الشمس فهو اذاً ليس (البيزة) أو البيزيت التي يقال إن أصلها كلمة عربية هي (بسيطة) عملة أكثر أقطار أمريكا الجنوبية والوسطى وقد كتبوا على عملتهم (صول دي اورو) أي الصول الذهبي وبالترجمة الحرفية (شمس الذهب) أو الشمس الذهبية إلا أن هذا الاسم رغم كونه رناناً تكاد تسمع رنينه حينما تقرع اذنيك كلمتا الشمس والذهب وهما تقرع احداهما الأخرى فإنه على غاية من الهوان والضعة في الحقيقة إذْ لا تزيد قيمته على ثلثي هللة من عملتنا السعودية فالريال السعودي الواحد فيه حوالي مائة وأربعين صولاً ذهبياً من الورق.

يقع فندقنا قريباً من قلب المدينة حيث ساحة (سان مارتين) وما تفرع منها من شوارع. كان أول ما يلفت النظر فيها مظهر العوز والحاجة على المباني والأشخاص الذين رأيناهم الآن رغم أن عددهم قليل، وذلك بالنسبة إلى ما عليه الحال في تشيلي والأرجنتين اللتين قدما منهما قبل الوصول إلى بيرو وكان أكثر من بقي في هذه الشوارع والميدان الكبير طائفة من النساء اللاتي يظهر عليهن الفقر والحاجة وهن يبعن أكواز الذرة الحبشية مسلوقة أو مشوية وطائفة من المارة

يشترون ذلك منهن.

وكذلك هناك طائفة من الباعة والبائعات حول عربات يدوية تبيع مشروبات وأكلات خفيفة مناسبة لهذا الوقت المتأخر من الليل وهي رديئة النوع، نزرة المقادير.

ومظهر الناس هنا وبخاصة النساء ليس فيه من الوجاهة أو الجمال شيء.

وخيل إلينا أن طائفة من الموجودين الان هم من المتعطلين الذين لاهم إلا البحث عن النقود ولكن لم ألاحظ أن أحداً منهم اقترب مني أو حاول أن يحصل على شيء من ذلك أو حتى يعرض خدماته أو يتطفل بشيء كما هي العادة في مثل هذه الأوقات في هذه المحلات وربما كان مرجع ذلك إلى أننا لا نرتدي ثياباً ملفتة للنظر، كما أن ألواننا ليست بعبدة من ألوان أغلبهم.

ولفت أنظارنا من بعيد مكان فيه أضواء لامعة واقع في ساحة (سان مارتين) المذكورة ورأينا عنده سيارة من سيارات الشرطة فسألنا رجلاً على بابه: لماذا تقف هذه السيارة؟

فأجاب بانكليزية ضعيفة: إنها لمن لا يدفعون الحساب!

فقلنا: أقبح بهذا المكان ورواده الذين قد يحتاجون لكي يدفعوا ثمن ما يتناولونه فيه إلى الشرطة!

ولم نر على بابه الخارجي زحاماً من الناس، بل لم نر داخلين ولا خارجين منه. وكان الجو معتدلاً يغري بالمسير فكان خالياً من البرد الموجود في تشيلي وكان خالياً أيضاً من الرطوبة رغم كون المدينة واقعة

على ساحل المحيط الهادىء العظيم.

ولذلك كانت الملابس الخفيفة هي السائدة وأكثرها قمص ذات أكمام قصيرة مع السراويلات وقد مكنني ذلك من ملاحظة أن جميع الذين رأيتهم من المشاة والمتجولين لم تكن في معاصمهم ساعات ربما كان ذلك من أثر الفقر وربما كان من أثر الخوف من انتهاب الساعة.

غير أن هذا الوقت المتأخر من الليل ومناظر الفقر والحاجة على وجوه الناس مما يدعو إلى العودة إلى الفندق فعدنا مسرعين.

يوم السبت ١٤ /٣ /١٤٠٢هـ ٩ /١ /١٩٨٢م

سارعت بالخروج من الفندق هذا الصباح للسير في شوارع هذه المدينة الغريبة علي وكان ما ظهر لي في النهار أكثر من الليل أن كثيراً من الأبنية القريبة من الفندق ليست فاخرة مع أننا في قلب المدينة. وكثير منها يحتاج إلى ترميم أو تجميل.

ثم جلت في (ساحة سان مارتين) التي رأيتها الليلة البارحة وإذا بها تعج بالحركة وتخترقها السيارات من أكثر الجهات. وإذا بالجمهور الذي يسير على قدميه كثير في هذا المكان من قلب المدينة وأكثر الناس يظهر عليهم الفقر ومظاهر عدم التغذية الكاملة. وعدم اللباس الجيد.

والذي دهشت له أن السمر هم الأكثرية في هذه المدينة رغم أن البيض موجودون وهذه المدينة بالذات ودولة بيرو على وجه العموم كانت هي أقوى المراكز أو الدول التي أقامها الأسبانيون في أمريكا الجنوبية في أوائل إقامتهم بعد استعمارهم للقارة.

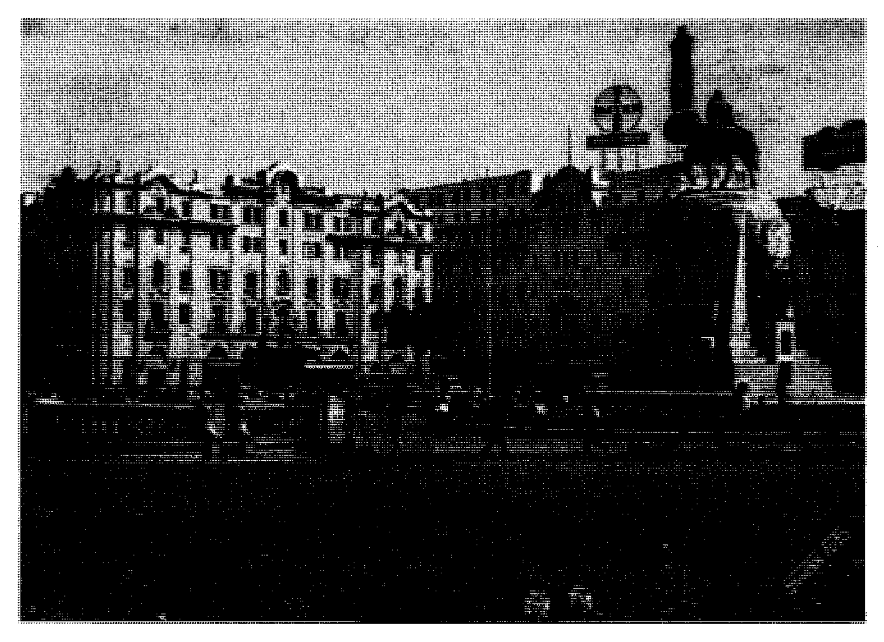

ميدان سان مارتين المهم في (ليما)

والبيض الموجودون قد أثر فيهم الطقس تأثيراً شديداً حتى صاروا أشد سمرة من أهل سورية ولبنان هذا إذا لم يكن الاختلاط مع الهنود الأمريكيين الأصلاء قد أثر فيهم ولكن المختلطين ما بين الفريقين موجودون بكثرة وعليهم سيماء ذلك ظاهرة في أشكالهم وتقاسيم وجوههم.

ومن أغرب المناظر في الهنود الأمريكيين أو إن شئت الدقة قلت في هنود الأنديز وإن لم يكونوا كلهم من سكان جبال الأنديز ولكنهم في الأصل والشبه مثلهم أنك ترى وجوهاً تشبه الوجوه المغولية المنتفخة ذات وجنات بارزة، وعيون صغيرة والوان غير نضرة.

وفيهم قلة في وجوههم طول وإن لم تفارقها السمات المغولية.

وأما الجنس الاسباني المتغير أو على وجه الدقة اللاتيني المتغير فإنه موجود أيضاً بل ظاهر الوجود.

ومن المناظر القليلة خارج بلادنا التي رأيتها اليوم منظر بائع «البرشومي» كما نسميه في بلادنا أو التين الشوكي كما يسمى في مصر وهو يقطع الثمار يقشرها ويبيعها للناس. وثمار التين الشوكي عندهم أكبر من الموجود في بلادنا وأقل شوكاً.

والسيارات التي تسير في الشوارع منظرها منسجم مع منظر الوجوه فكثير منها يحتاج إلى طلاء أو تجميل وبعضها يسير وهو بحاجة إلى إصلاح «سمكرة» إذْ تسمعها تصدر أصواتاً مختلفة كلها تدل على عدم العناية أو على عدم استطاعة الإصلاح.

وربما كان لتأثير النقلة السريعة لأبصارنا من الأرجنتين وتشيلي بعض الأثر في هذا الشعور بعدم الجمال في قلب هذه المدينة مدينة ليما عاصمة بيرو.

فالأرجنتين وتشيلي على غاية من حسن المظهر وجمال المنظر على تفاوت بينهما في هذا الأمر كما شرحت ذلك في كتاب «إلى أقصى الجنوب الأمريكي» المطبوع.

وهذه المدينة عكسهما في ذلك أو على الأقل هذا ما رأيناه منها حتى الآن، والواقع أن الذي يقدم من الجنوب في الأرجنتين أو تشيلي إلى بيرو يشعر بما يشعر به من يقدم من الشمال من أوروبا فهل السر في خط الأستواء؟

غير أن الشيء الذي لا يكون من وحي الانتقال من الأرجنتين أو تشيلي بطبيعة الحال هو ما لاحظته من أنه حتى في هذه الساعة من النهار التي تكون فيها الشوارع مزدحمة بالناس فإن الساعات غير موجودة في معاصم الناس ربما كان السبب في ذلك رقة الحال، أو

خوف الإنتهاب، وكلا الأمرين لم يكن بسبب أن الوقت كان ليلاً كما كنت قد تخيلته في الليلة البارحة.

وأما النساء فإنهن على وجه العموم ليس على وجوههن نضارة الجنوبيات من الأرجنتينيات والتشيليات وفيهن من صبغت شعرها بصباغ أصفر أو أحمر يتشبهن بالبيضاوات مما يؤكد على أن البياض فيهن ليس شائعاً.

والمرور عندهم ليس منتظماً وأكثرهم لا يحترمون إشارات المرور أو يمرون من غير الممرات المخصصة للمشاة والذي يمر مع الممرات المخصصة للمشاة فإن أصحاب السيارات لا يحترمون مروره ولا يتوقفون من أجله بل تراهم يزعجونه بأبواق سياراتهم أو بأصوات محركاتها.

والسود بينهم قليل جداً أو لا يوجدون وقد تعمدت أن أرى في هذه الجولة هذا الصباح أسود واحداً فلم أجده، وهذا يعني السود الذين هم من أصل إفريقي أوفى لون الإفريقيين وإلا فإن فيهم قليلاً من الناس هم شديدو السمرة وهم سكان السواحل الشمالية.

ويرى المرء طائفة من النساء الجبليات من سكان جبال الأنديز ويمتزن إلى جانب ماتقدم بتباعد ما بين العينين وهذا من الفروق الواضحة ما بينهن وبين المغوليات الآسيويات. وقد رأيت معظم بائعات البسطات وهي السلع الخفيفة التي تعرض منشورة على الأرض أو على عربات يدوية، هن من النساء الجبليات.

ولعل هذا مما يدنيهن من بعض النساء الآسيويات كالتايلنديات والصينيات، وإن باعدت بينهن التقاسيم فضلاً عن البعد في الأقاليم،

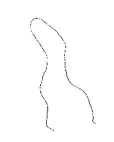

والغريب انهم إذا مرت بهم أمرأة جميلة نظروا إليها واتبعوها أبصارهم كما يفعل أهل البلدان العربية وليسوا في هذا كالأرجنتنيين والتشيليين الذين هم في هذا الأمر كالأوروبيين لا تراهم يحفلون لمرور امرأة جميلة أو يتبعونها أبصارهم.

وأسعارهم رخيصة وبخاصة المصنوعات الجلدية من جلد «اللاما» الحيوان الذي تشتهر به بلادهم ويعيش في جبال الأنديز، أو من جلود الحيوانات الأخرى ولكنهم يرسمون عليها صورة اللاما تشويقاً للمشترين.

ومن الأمثلة على أسعارهم أن الكيلو من البطيخ الأخضر (الجح) يباع الجيد منه بمائة وثمانين صولاً، أي بحوالي ريال سعودي.

وشربنا فنجان القهوة في مقهى جيد بما يعادل نصف ريال. وقد تناولنا وجبة غداء كاملة في مطعم نظيف بما يعادل ثلاثة دولارات أمريكية وهذه أسعار لا يصدق بها لأول وهلة من يكون قد جاء من تشيلي ذات الغلاء الفاحش بحيث لا يقل ثمن تلك الوجبة هناك عن خمسة وعشرين دولاراً أمريكياً.

إلا أن ذلك المطعم النظيف الذي تناولنا فيه طعام الغداء مبكرين كان يقف عند واجهة بابه الزجاجية من الداخل أحد موظفي المطعم ومعه المضربة اليدوية التي يقتل بها الذباب. مما يدل على أن الذباب موجود عندهم وبالتالي على عدم النظافة التامة في المدينة.
وكان غداء المطعم أربعة أطباق أحدها قواقع من «طعام البحر» وآخره فاكهة مؤلفة من الباباي والموز والأناناس قد خلطوا ذلك قطعاً فى صحن واحد.

وأكلهم جيد في طريقة إعداده وطهيه إلا أن الملاحظ انهم يضيفون إليه الفلفل الحار من دون طلب الآكل كما يصنع أهل الهند. وإن يكن الفلفل في طعامهم أقل منه في طعام أهل الهند بكثير.

ثم تمشينا في قلب المدينة التجاري الذي يضم المصارف والفنادق الجيدة والمحلات التجارية الكبيرة. وحجزنا من هناك مع إحدى شركات الجولات السياحية لرحلة كما يسمونها تبدأ في الثالثة من بعد الظهر.

جولة في مدينة ليما:

اسمها هندي قديم أي من قبل أن يصلها المكتشفون الأوربيون «ريما» إلا أن الأسبانيين حرفوه إلى «ليما» بإبدال الراء لاماً وهو مأخوذ من اسم نهر يشق المدينة كان اسمه «ريما» عند السكان الأصلاء الذين يسمون بالهنود الأمريكيين.

والنهر في هذه المدينة له معنى خاص لأنها مدينة جافة قد يبلغ جفافها وقلة الأمطار فيها حداً لا يبلغه الجفاف في البلاد الجافة من البلدان العربية.

وقد حدثنا بعد ذلك الأخ «محمد عيسى حميده» رئيس الجمعية الإسلامية في بيرو بأنه قد أمضى في مدينة ليما ثلاثين سنة لم يشهد فيها مطراً سالت منه الشوارع وأنه قد تمضي سنوات بدون أن ينزل على ليما قطرة واحدة من المطر.

وقال لي وجماعة من العرب الذين يسكنون في ليما يسمعون: إن الجفاف هنا أي عدم نزول المطر أمر مألوف معروف ولذلك فإن العاصمة تحصل على حاجتها من الماء من المياه الجوفية ومن النهر الذي ينحدر من جبال الأنديز التي هي جبال خضر ذات جو مطير

ينزل عليها المطر في الشتاء والصيف.

أما العاصمة «ليما» فإن هناك أربعة فصول مثل التي عندنا في البلدان العربية ولكن المطر لا ينزل في أي فصل منها.

نشأة ليما :

تختلف مدينة «ليما» عن عدد كبير من مدن بيرو الأخرى فقد اختار موقعها فرانسيس بيزارو القائد الاستعماري الأول لهذه البلاد لتكون موقعاً دفاعياً لحماية الأطماع الاستعمارية الكبيرة لاسبانيا آنذاك من أن يهددها طامع آخر، بالإضافة إلى أن «ليما» تعتبر منفذاً إلى برزخ بنما الذي يربط العالم الجديد بأسبانيا قبل شق قناة بنما.

وتتميز «ليما» بموقعها على البحر الذي هو جاف خالٍ من الغابات والأدغال. بل إنه ذو جو صحراوي شديد الجفاف كما تقدم.

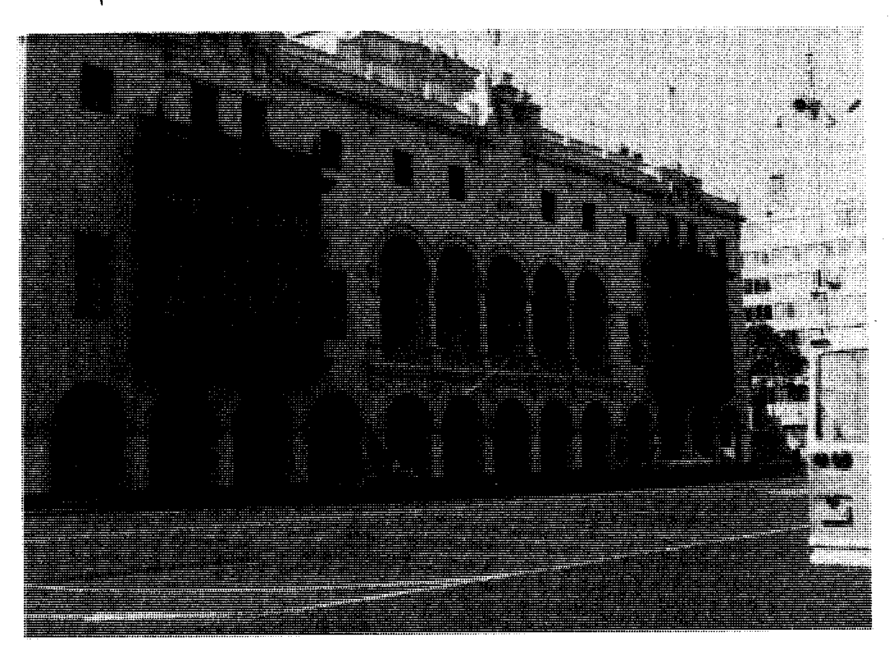

مبنى أندلسي الطراز على ساحة سان مارتين

ويتجلى في «ليما» الفن المعماري الأسباني الذي هو الفن الإسلامي العربي المعروف أخذه الأسبان عن عرب الأندلس وهو الموجود في كثير من المدن الأسبانية الأولى في المستعمرات التي أقامها الأسبان في أمريكا الجنوبية. وهي المدن التي تسمى الآن بالمدن الاستعمارية وأصبحت الأحياء القديمة المميزة في تلك المدن.

وسبب وجود هذا الطراز المعماري الأندلسي المميز في تلك المدن الأسبانية هو قانون العقار الذي وضع في عام ١٥٢٣م حيث كان من الواضح استعمال الأسبان لتصاميم وتخطيطات قبل تنفيذ بناء المدن فبالإضافة إلى المتطلبات الأساسية لاستيطان المناطق الغير مأهولة بالسكان فان الأرض الجديدة يجب أن تتوفر بها المياه ويكون موقعها حصيناً يسهل الدفاع عنه. وقد وضع القانون عدة اشتراطات لبناء المدن وهي:

١ ــ حجم وشكل وموقع الساحات العامة.
٢ ــ عرض الشوارع.
٣ ــ موقع البوابات والأسوار.
٤ ــ موقع البنايات العامة.
٥ ــ توزيع المساحات الكبيرة إلى قطع أراض صغيرة كل قطعة أرض داخل المدينة تكون مساحتها ١١٢ متر مربع وتملكها أسرة واحدة..

عرض الشوارع ٣ أمتار (٩ أقدام) وفي عام ١٥٥٣م وضعت مدينة ليما إشتراطات خاصة بها وهي ضرورة تسوير الممتلكات وأن تُزرع الأشجار وتنظف الشوارع ويكون غسل الملابس والحيوانات محصوراً في جزء معين من المدينة فقط.

ويظهر تأثير الفن المعماري الإسلامي بوضوح في أية جهة ذهبت إليها من الأحياء القديمة في ليما هذه وفي غيرها من مدن أمريكا الجنوبية التي كانت مستعمرات أسبانية سابقة.

إن عاصمة بيرو مدينة يقطنها سُكان من مختلف الشعوب: أسبان، إيطاليين، إغريق، وهنود أمريكيين، إضافة إلى المختلطين من هذه الأجناس أو من جنس واحد مع جنس آخر منها. كما أوضحت ذلك. وقد رفض المهندسون المعماريون في ليما جميع صرخات الطراز المعماري الحديث ذا التغير السريع وحاولوا المحافظة على المفهوم القديم للطراز المعماري فقد نظر المهندسون المعماريون في ليما إلى التركيب والتصميم المعماري على أنه جزء من علم الاجتماع تترجم فيه فلسفة معينة إلى شيء ملموس يتمشى مع أخلاقيات وذوق المجتمع وبالمقابل فإن المهندسين المعماريين في أمريكا الشمالية قد أعجبوا بالتصاميم الهندسية للعصر الاستعماري الأسباني التي هي في الأصل مبنية على الطراز الإسلامي الأندلسي. ووجدو ربحاً كبيراً في إنشاء مبان على هذا الطراز فقد لاقى رواجاً وإعجاباً كبيراً من سكان أمريكا الشمالية وتركزت بعض الصفقات التجارية على إيجاد هذا الطابع القادم من أمريكا الجنوبية.

إن مدينة «ليما» ذات الشعوب المختلفة امتزج منها عدد من الطُرز المعمارية لعدة شعوب وجميع هذه الطُرز تقف جنباً إلى جنب في هذه المدينة العجيبة «ليما».

ويبلغ سكان «ليما» ستة ملايين نسمة من مجموع سكان بيرو الذي هو ثمانية عشر مليوناً.

بداية الجولة :

وقد بدأت الجولة في الثالثة ظهراً عندما مرت بفندقنا حافلة متوسطة

بها دليل ماهر كثير الثرثرة اسمه (فيلك) وهو إسباني مختلط يشرح ما نراه بالانكليزية والأسبانية مع أن عدد الذين معه ممن يتكلمون الإنكليزية أكثر من الذين يتكلمون الأسبانية وهو كالاسبانيين المختلطين ليس وجيه الشكل.

شارع ضيق في المدينة الاستعمارية(القسم القديم في ليما)

فبدأ بقلب المدينة القديم الذي بناه الأسبانيون عندما استوطنوا هذه البلاد أو استعمروها واسمه (أوكايائي). وقال الدليل وهو يشير إلى البيوت القديمة إنها أسبانية مبنية على طابع عربي قديم أخذه الأسبانيون من شمال إفريقية. وشوارعها ضيقة لانها بنيت قبل استعمال السيارات وكان كلامه صحيحاً كل الصحة لا يحتاج إليه من لديه أدنى معرفة بفن البناء العربي الأندلسي بل إن بعض تلك البيوت والأبنية قد احتفظت بالطابع العربي القديم أكثر مما احتفظت به أكثر الأبنية في مواطن متعددة من أسبانيا حيث حملهم التعصب الأعمى ضد أي شيء عربي

أو إسلامي على طمس بعضها.

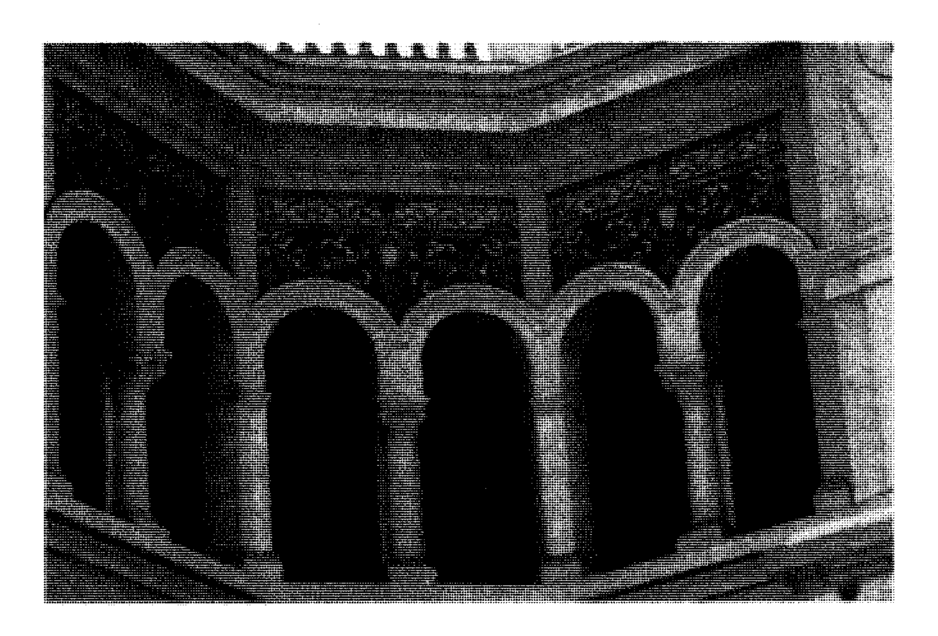

اقواس مزينة بالفسينساء الأندلسية في ليما

وأهم المظاهر الواضحة الباقية هنا «الرواشين» جمع روشان وهذا هو اسمها الذي نعرفها به في الحجاز وهي نوافذ مخرقة مثبتة في الحيطان تسمح بمرور الهواء وتمنع من رؤية من يكون في الظلام في داخل المنزل.

ثم وقفت السيارة عند بيت قديم كل ما فيه عربي الطراز وقال: إنه قد بني منذ مائتين وخمسين سنة. وقال: إن اسمه «توري تافلس» ويقع على شارع غير واسع بالنسبة إلى الشوارع الحديثة. وكان الدليل يبدي ويعيد ذكر العرب وأثرهم في هذا البناء وأمثاله في أكثر الحديث عنه.
وقال: هذا البناء كان إدارة حكومية قبل أن تحوله البلدية إلى متحف. وأسفله مدرسة ذات صحن في الوسط تحيط به أروقة أندلسية

عربية قد حليت بزخارف من الجص وسقوفه كلها من الخشب.

أما الطابق الأعلى ففيه قناديل أندلسية معلقة إلا أن مما أدخل عليه الأسبانيون من فنهم المستوحى من الديانة الكاثوليكية أنهم صوروا على حيطانه الداخلية صوراً تمثل بعض معتقداتهم الدينية في القديسين والكهنة.

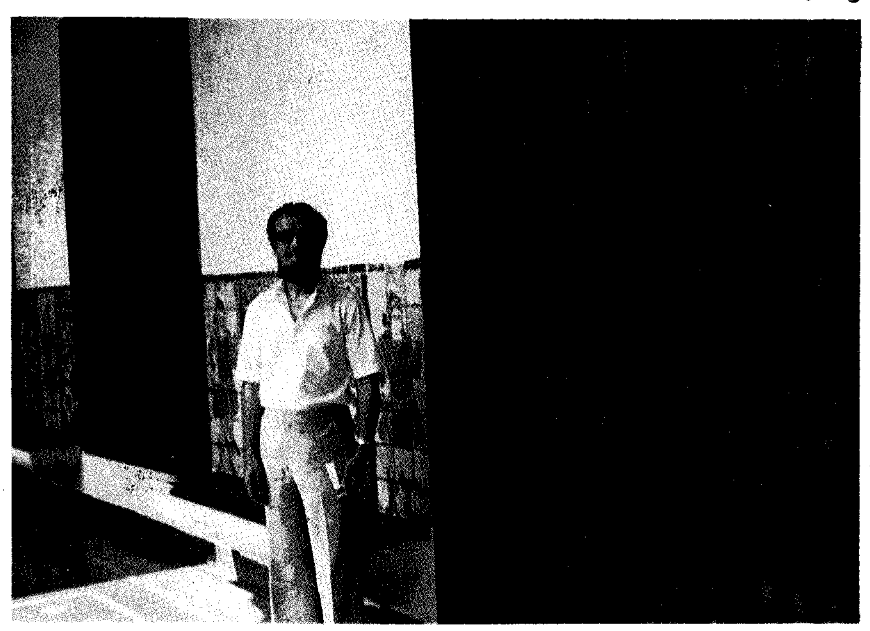

المؤلف داخل المبنى العربي في ليما بيرو امام احدى اللوحات

ومما أكد مسحته الأندلسية أن حيطانه قد كسيت بالفسيفساء الاندلسية إلا أن في بعضها صوراً كنسية أسبانية صغيرة.

وأما بلاط الأرض فانه أحمر ساذج.

ثم دخل غرفة من غرف هذا البناء الشبيه بالقصر العربي الصغير، ونعته بالعربي ليس من عندي بل هو من عند الدليل الذي كان يكرر ذلك من باب الإيضاح للسائحين دون أن يعرف ان من بينهم عربيين أنا

ورفيقي الرائد عبدالله العريفي.

وسقف هذه الغرفة من الخشب المنقوش نقشاً بديعاً.

داخل بناء أندلسي في ليما

وغرفة أخرى قد كسيت جدرانها إلى منتصفها بالفسيفساء العربية الخالية من الصور.

الرواشين العربية :

أدخل الدليل سياحه إلى غرفة أخرى تطل على الشارع وأشار إليهم قائلاً: هذه غرفة السيدات. انظروا إنها على الطراز العربي لأن فيها «روشان» ونطق بكلمة روشان بلفظ «روشنز» أي كالنطق بكلمة روشان مجموعة باللغة الانكليزية وقال: إن الحكمة في صنع هذه النوافذ أو «الروشنز» هو أن السيدات يرين الناس الذين في الشارع ولا يرونهن.

ثم طلب من امرأتين أمريكيتين كانتا من بين ركاب الحافلة أن تنظرا من خلال الفتحات الضيقة، في هذه الرواشين العربية ففعلتا وهما تضحكان ويضحك معهما أكثر السياح من هذه النوافذ التي تكون كذلك. ولا يفهمون بعقليتهم العصرية المتحللة من القيود أن تضطر المرأة إلى النظر من خلال هذه الثقوب الخشبية في النافذة وهن قد ربين على أن يخالطن الرجال، بل أن يخاللن الرجال بالأفعال لا بالأقوال في بعض الأحوال وبإحدي الكبر، لا لمجرد النظر.

وفي هذه الغرفة كما في التي قبلها لوحات فنية ذات قيمة تاريخية.

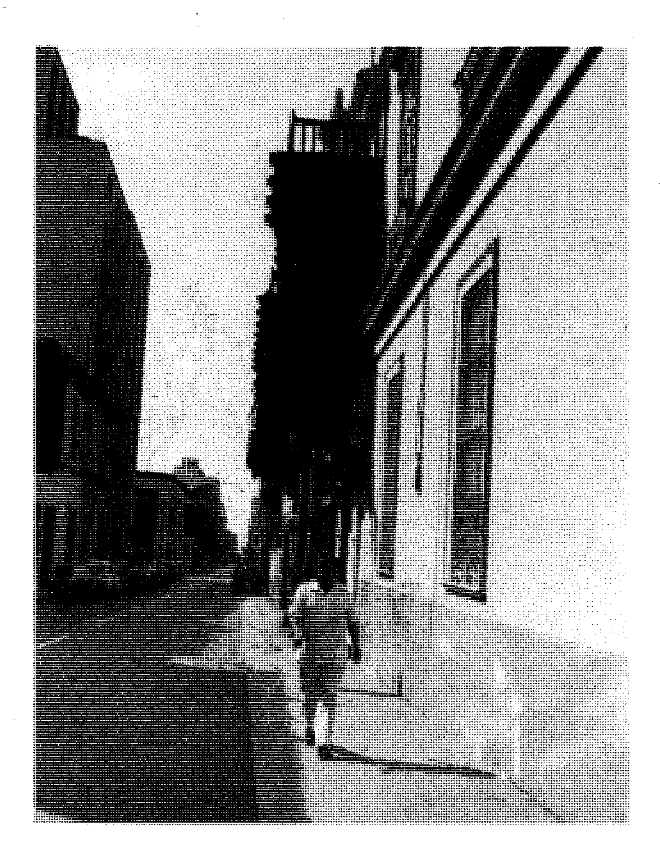

احد الشوارع في المدينة الاستعمارية
(الحي القديم) في مدينة ليما

بلاسا دي آرما، أو: ميدان الجيش :

انتقل الدليل بحافلته من هذا الحي القديم من المدينة إلى ميدان مجاور له اسمه (بلاسا دي آرما) وتعني ميدان الجيش.

وقال: إنه من الميادين الرئيسية في المدينة، فعليه يقع قصر الرئاسة. وبعض الدوائر الحكومية المهمة الأخرى كقاعة البلدية.

وبعض هذه الأبنية الهامة تتجلى الشواهد العربية فيه من الرواشين السوداء الطلاء، ومن الطراز العربي العام للمباني.

ساحة الجيش في ليما وعليها روشان عربي في أيمن الصورة.

ولم يطل الوقوف في هذا الميدان، وإنما انصرف مخترقاً بعض الشوارع في جزء من المدينة ليس بالقديم ولا بالحديث. حتى وصل.

بـرج ليمـا :

وهو بناء واسع عال قال الدليل: إنه بني قبل ثلثمائة سنة وقد رأيت

تاريخه بعد ذلك في ركن منه أنه عام ١٦٧٢م على أعمدة قوية أظنها من الحجارة.

وبجانبه بناء اسمه «أسبانيو دومينقو» فيه قاعات واسعة قال الدليل: إنها أسبانية متأثرة بالطابع الإسلامي العربي. أما أنا فإنني لم أر فيها من ذلك شيئاً ظاهراً إلا الأبواب وما فوقها من أقواس عربية كبيرة كلها مصنوعة من الخشب أما الصور والأثاث فيه فإنه مستوحى من الديانة المسيحية.

ما عدا ساحته الداخلية فإن الدليل قد قال وهو على حق: إنها مبنية على هيئة المسجد وهو صادق في ذلك فهي عجيبة البناء ذات أقواس إسلامية وتكسو جدرانها فسيفساء عربية وأعمدتها مربعة مكسوة كلها بالفسيفساء العربية الجميلة. حتى القبة الموجودة فيها ليس عليها من الصور أو التماثيل ما يكون على الأبنية الأسبانية المهمة في المعتاد.

أمام برج ليما مع الرائد عبد الله العريفي في ليما

وتجاور هذا البناء المبني على هيئة المسجد كنيسة صغيرة أنيقة في محرابها الأمامي سورة المسيح عليه السلام وقد صلبه اليهود بزعمهم.

ومقاعد الكنيسة هذه والأثاث الموجود فيها كله عربي الطراز، أندلسي الإنتماء.

وفي حديقة هذا البناء حمائم تنوح، وخيل إليَّ أنها تنوح على المجد الإسلامي الذي أضاعه أهله في الأندلس. وعلى المجد الأسباني الذي أضاعه أهله في هذه البلاد وإن كانوا قد ابقوا بعدهم فيها لغتهم على حين أن العرب لم يستطيعوا أن يجعلوا البلاد الأندلسية تحتفظ بلغتهم العربية إلاّ إلى حين. فكأنها كما قال أبوالطيب المتنبي:

تتخلف الآثار عن أربابها حيناً فيدركها الفناء فتتبع

وكان من المناظر الواضحة عند بابه الخارجي امرأة مستجدية «شحاذة» وقد استندت إلى حائطه ومعها طفلها وهما على خلق عجيب لا يتصور الذي لا يعرف أمريكا الجنوبية المسماة باللاتينية أن مثل هذا الشبه يوجد فيها فهي ذات وجه منتفخ عريض مستدير ووجنتين شديدتي البروز وعينين صغيرتين مستديرتين. ولا شك في أنها من أهل جبال الأنديز.

ولم تكن هي المستجدية وحدها هنا بل كان بقربها أعمى، وشحاذ آخر جاؤا يستجدون هنا لعلمهم بأن هذا المكان مقصد للسائحين.

ثم سارت الحافلة والدليل الثرثار يشرح كل شيء حتى الأشياء التي لا تحتاج إلى شرح وهذا مفيد جداً للسائح العربي مثلي.

إلى أن وصل إلى جسر مقام على نهر (اليما) الذي كان اسمه الهندي القديم (ريما) وهو الذي أصبح اسمَاً لمدينة (ليما) هذه. وهو نهر واسع المجرى نسبياً إلا أنه نزر المياه فهو في نصف حجم نهر

بردى في كمية المياه التي تجري فيه الآن وإن كان في سعته أربع مرات من حيث المجرى. ولا شك في أن هذا الفصل ليس فصل الأمطار في الأماكن الجبلية التي تغذي هذا النهر وإلاّ فإن منطقة العاصمة هذه لا تمده بالمياه لأنه ليس فيها مياه ولا تسقط عليها أمطار لفرط جفافها.

بيوت الطين في ليما :

كنا قد مررنا بعدة بيوت مبنية بالطين ولكننا لم نلاحظ ذلك لأنها مطلية بطلاء أبيض من الجص أو من الاسمنت لا أدري غير أننا رأينا اليوم ما جعلنا نتحقق من أن مدينة ليما القديمة كان أغلبها مبنياً من الطين إذْ مررنا في حي من أحيائها شقوا فيه شارعاً جديداً وهدموا البيوت التي تعترضه فإذا بها كلها بيوت طِينية ليس فيها شيء قد بني من غير الطين. وهي من طابق أو طابقين، وأغلبها قد طلي بطلاء أبيض بحيث أنه لولا أنها قد هدمت وبانت بواطنها طينية لما ظن من يراها أنها مبنية بالطين.

وفي جهة من ذلك الحي بيوت من لبن الطين فقط غير مطلية بطلاء آخر إلى درجة أنها ذكرتني ببعض البيوت القروية القديمة في نجد التي تبني بناء رثاً من اللبن الطيني. كما كان الشارع الذي شق فيه الحي المبني من الطين قد ذكرني بشوارع كانت قد شقت في مدينة الرياض القديمة التي كانت جميع البيوت فيها من الطين.

ولا شك أن هذه البيوت واستعمالهم الطين في البناء مما يضيف دليلاً آخر على شدة الجفاف في هذه المدينة الواقعة على المحيط الهاديء العظيم.

ويدل على ذلك أيضاً أن هذه البيوت الطينية كلها ذات سقوف مسطحة وليست مسنمة ولو كانت البلاد مطيرة لما كانت سقوف المنازل فيها مسطحة بل لصارت مسنمة تنزلق الأمطار عنها عند نزولها.

وعندما رأيت هذا المنظر وفكرت في أسبابه رفعت رأسي لأرى ما إذا كان هناك سحاب في الجو فرأيت الجو صحواً ولكن ليس هذا المهم وإنما المهم أن الجبال التي رأيتها تطل على مدينة «ليما» كلها جرداء تماماً بل هي أشد جفافاً وخلواً من النبات من الجبال الموجودة في صحراء بلادنا في المملكة.

ثم دخلت الحافلة مع بوابة من بوابات قديمة عربية الطراز لا أدري ما هي ورأيتهم يجددون طلاءها باللون الأحمر.

ومن هناك وصلت إلى حي قديم ذي بيوت متطامنة من طابق واحد وأزقة ضيقة غير بهيجة المنظر.

شارع الإنكاي :

هذا شارع واسع في المدينة رأينا على جوانبه عشرات من ماسحي الأحذية، مستعدين للعمل، ووجود ماسحي الأحذية بهذه الصفة في مدينة من المدن دليل على فقر تلك المدينة وقلة العمل عند شعبها، فضلاً عن نقص التنظيم فيها.

ثم أوقف الدليل حافلته أمام قصر قديم اسمه «بيروتس» من أقدم المباني التي خلفها المستعمرون الأسبانيون في «ليما» إذْ كان تاريخ بنائه في عام ١٥٦٨م. ويستعمل الآن بمثابة متحف يضم أعلاماً أثرية مختلفة وصلباناً خشبية قديمة.

وسقفه من الخشب المنقوش وبناؤه من الطين المقوى بالعصي ــ

جمع عصا ــ لتمنعه من التشقق ومع ذلك قد كسوا بعض جدرانه الداخلية بالفسيفساء العربية وظاهره مطلي بالجص أو مادة بيضاء تشبه الجبس، وأما أرض الفناء فيه فإنها مفروشة بالمرو الأسود وهو الحصا الصلب الصغير.

وقد دخلنا إحدى قاعاته وهي تضم صوراً حديثة وأخرى في حيطانها رسوم زيتية كبيرة ذات قيمة تاريخية لأنها تمثل جزءاً قديماً من مدينة «ليما» والصور تظهر ذلك الحي ذا بيوت عربية الطراز فيها الرواشين العربية ظاهرة بارزة.

قسم التعذيب :

أخذ الدليل يطوف بنا في أقسام من هذا القصر الطيني القديم وهي أقسام السجن، وتعذيب السجناء في مناظر تقشعر منها الأبدان وقد صوروا تماثيل الرجال من الجبس أو الصلصال وطلوا هذه التماثيل بطلاء أغبر يجعلها تبدو كالقديمة.

من ذلك منظر سجين قد وضعت رجلاه في خشبة كبيرة قد ربطوها في خشبتين كبيرتين لا يمكن تحريكهما. وبعض السجناء قد قرن بحبل مع صاحبه بحيث أن أي حركة من أحدهما لابد أن يتحرك منها الآخر.

وبعضهم مربوط بسلاسل غليظة من الحديد مع كرة كبيرة من الحديد أيضاً مربوطة في رجله حتى تعيق حركته وهو مربوط.

ثم سجن أخر في غرفة تحت الأرض فيها رجل قد شدت أطرافه الأربعة كلها بحبال إلى أوتاد غليظة في الأرض وهو يصرخ من شدة الألم. وآخر مصلوب على الجدار، وآخرون مشنوقون ومعلقون من رقابهم.

وآخرون معلقون في الجدار وهم أحياء وقد رفعوهم عن الأرض فلا يستطيعون الوقوف ولا الجلوس.

ومن المناظر الشنيعة منظر رجل قد وضع صدره في صندوق ورجلاه ويداه خارج الصندوق مع ثقوب فيه فلا يستطيع تحريك أعضائه لأنه لا يستطيع تحريك الصندوق.

إنها تثير الاشمئزاز ومن افظع ذلك منظر قبو مظلم تحت الأرض موحش حتى بناؤه رث خشن وقد فرشت أرضه بجماجم حقيقية لرجال ماتوا تحت التعذيب وقد حفروا عند باب الخروج بئراً قد سدت الطريق فمن يحاول الهرب من هذا القبو يسقط فيها. وقد غطى البئر بألواح من الخشب مررنا فوقها.

وهنا قال الدليل إن هناك مناظر في هذا المتحف ولكنني لن أريكم إياها لكيلا أزيدكم حزناً.

عود إلى العصر الحديث:

بعد أن لبثنا في هذا القصر الطيني الكبير ذلك الوقت القصير، ورأينا فيه من الأشياء الأثرية المحزنة ما رأينا خرجنا إلى الشارع العام الواسع فكأننا بذلك قد عدنا إلى العصر الحديث بعد رحلة في أعماق القرون الوسطى إبان الحكم الاستعماري الأسباني لهذه البلاد.

في هذا الشارع الواسع عدد من الأبنية الحديثة البهيجة الطلاء وفي جزء منه عربات يدوية فيها البضائع الصغيرة ذات الأثمان الزهيدة وأكثر البائعات فيه هن نساء غير جميلات.

سوق الزهور :

يظهر أن حسن الحظ في رؤية الأشياء الجميلة قد بدأ يحالف

ركاب حافلتنا السياحية كما أراد لها منظموها إذْ أوقفونا في «سوق الزهور» وهو ممتد حافل بأنواع منوعة من الزهور ذات مناظر مختلفة، وبعضها غير مألوف في بلادنا العربية.

ثم كان الشيء البهيج الآخر أن سارت الحافلة في شارع جميل بهيج المنظر اسمه «أراكيبا» قد جعلوا في وسطه جزيرة تفصل بين الذهب والإياب فيها حشائش وزهور وأشجار كبيرة عالية غريبة الشكل كأنها المظلات المنشورة.

وهو شارع رئيسي حديث هام فهو إلى جانب طوله الذي يبلغ سبعة كيلو مترات فإن عليه أبنية هامة منها عدد من سفارات البلدان الأجنبية. وعليه منازل جميلة مسطحة السقوف بسبب الجفاف، وقد اعترض هذا الشارع بعض الشوارع في المدينة فكان يمر الشارع المعترض فوق

الرواشين العربية في بيرو

نفق لهذا الشارع الطويل (أراكيبا).

ثم تيامن الدليل بحافلته مع حي فيه دارات (فيللات) جميلات ذات أطرزة مختلفة إلا أن أظهرها الطراز العربي الإسلامي ولو كانت الفيلات، حديثة البناء.

ثم دخلنا في حديقة واسعة معتادة المظهر إلا أن حوائطها من أعواد من الخشب الأعوج وهذه الحديقة تعطي انطباعاً خاصاً بأن المدينة ندية كما أن الدارات والمنازل حولها في أكثرها حدائق صغيرة، أو أشجار الظل أو الزينة وهذا خلاف طبيعة البلاد الجافة ولكن سببه جلب المياه من النهر القادم من الجبال.

وقد تكررت رؤية البيوت الفاخرة ذات الطراز العربي الإسلامي فكأن الأثرياء منهم، أو ذوي الأذواق الرفيعة يفضلون المظهر العربي الإسلامي في الأبنية على غيره وهم يعتزون به من واقع كونه الطراز الفاخر القديم في مدينتهم.

على شاطيء المحيط الهاديء :

تركنا هذا الحي البديع إلى منطقة فيها أبنية ذات طوابق متعددة «عمارات» قريبة من سطح البحر وهو المحيط الهاديء.

فوقفنا على شاطيء عجيب إذ هو مرتفع جداً عن البحر ارتفاعاً حاداً ربما يعادل ارتفاع عمارة مؤلفة من ٢٥ طابقاً وهذا مما جعل للمنظر هنا روعة وبهاء زائدين إذّ ترى من هذا الشاطيء المرتفع مسافات شاسعة من مياه المحيط ومن خلفك ترى جانباً من المدينة بأبنية مشرفة.

وقد نسقوا هذا الشاطيء الذين رأيناه مليئاً بالمتنزهين والمتنزهات وإن كان تنسيقه محدوداً وناقصاً إذا ما قيس بتنسيق الأماكن العامة في

بعض دول أمريكا الجنوبية الواقعة على البحر مثل ريو دي جانيرو التي لا تضاهى مناطقها البديعة الواقعة على البحر.

وقد انتشر باعة الفاكهة والمآكل الخفيفة فيه.

ومن الفاكهة التي رأيتها فيه «البرشومي» وهو التين الشوكي كما تقدم وهو أخضر حلو لذيذ الطعم كبير الحجم. قليل الشوك، ولذلك كان البائع يضعه في مكان واحد مع الفاكهة الأخرى وفاكهة كبيرة الحجم يسمونها «بابينو» من الفاكهة المحلية. وتفاح محلي أصغر من التفاح اللبناني وأقل جودة منه. و(أبو كافو) وهو فاكهة شبه استوائية مشهورة في أمثال تلك البلاد تؤكل قبل الطعام مع الملح، وتؤكل بعده مع السكر. وعنب غال بحيث يبيعون الكيلو الواحد منه بثلاثة دولارات أمريكية. وربما كان مرجع ذلك إلى كونه في غير موسمه وإلاّ فإن الموقع الجغرافي لهذه البلاد يجعلها من البلاد التي تنتج العنب لأنها في منطقة مناسبة له.

وعندهم من الفاكهة التي نعرفها الخوخ والمندرين «اليوسف أفندي» وأنواع أخرى لا أعرفها إذْ بلادهم تجمع بين المواقع الدفيئة والمعتدلة على السواحل والبلاد الباردة على الجبال المرتفعة.

ولا ينقص من جمال هذا الموقع على الشاطيء إلاّ الجفاف الزائد الذي لا يقل عن جفاف البلاد الصحراوية وحتى الربى التي تطل على البحر مباشرة هي جرداء عارية من النبات تماماً.

وكان الجو جميلاً في هذه الساعة من الأصيل فهي الخامسة ونسمات البحر تهب لطيفة خالية من الرطوبة وتذكرت كم تكون الساعة الآن في بلادنا فتذكرت انها تكون الثانية بعد منتصف الليل وتذكرت الفرق الشاسع بين موقع البلدين بالنسبة إلى خطوط الطول كما أنهما متباعدتان بالنسبة إلى خطوط العرض أيضاً إذ تقع بلادنا على حدود

المنطقة الحارة والمنطقة المعتدلة الشمالية، وتقع بيرو عكس ذلك جنوباً.

العودة إلى قلب ليما :

ثم عدنا مع حي فيه دارات ليس لها طابع واضح في البناء. وكان هذا أمراً مستغرباً لأنني لاحظت حرصهم على التمسك بالمظهر العربي الإسلامي في البناء أكثر من حرص العرب أنفسهم في بعض البلاد العربية على ذلك.

ولقد فوجئت بذلك بل أدهشني أن يكون أثر العرب من هذه الناحية لايزال باقياً في هذه البلاد النائية عن العالم العربي وبلدانه. رغم مرور الأدهار على خروج المستعمرين الأسبانيين الذين حملوا الأثر العربي الأندلسي معهم إليها.

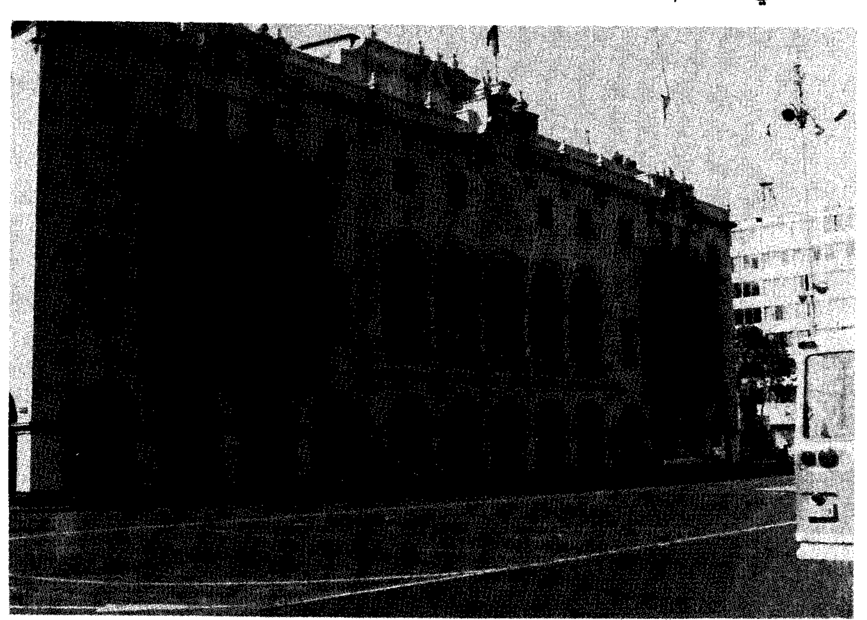

بناء اندلسي الطراز في ليما

ومن الأشياء المألوفة في بعض البلدان وخاصة البلدان المتخلفة أن ترى أناساً نائمين تحت ظلال الأشجار في حديقة عامة وهذا ما رأيته اليوم في حديقة مرت بها الحافلة ونحن في طريق العودة إلى فندقنا في قلب العاصمة «ليما».

وانتهت هذه الجولة الممتعة التي كانت رخيصة بالنسبة إلى ثمنها الذي هو ستة آلاف وستمائة وسبعون صولاً أو ما يساوي ثلاثة عشر دولاراً أمريكياً.

يوم الأحد ١٥ /٣ /١٤٠٢هـ ١٠ /١ /١٩٨٢م

لابد لمن يزور بيرو أن يشاهد آثار حضارة الإنكا القديمة لأنها الحضارة الأمريكية الخالصة التي نشأت وازدهرت في العالم الجديد دون تأثر أو تأثير بالعالم القديم. فأمريكا الجنوبية كالمعتصمة بالبحرين المحيطين: الهادىء والأطلسي ولكن ذلك لم يكف تلك الحضارة حتى اعتصمت بجبال الأنديز العالية المنيعة فكان هذا أدعى لخلوصها ونقائها وهو أيضاً أولى لأن تكون حضارة أمريكية خالصة.

وإذا اقتصر السائح على زيارة «ليما» العاصمة فإنها رغم ما فيها من متع سياحية ومن مناظر غريبة لعل من أغربها مناظر السكّان وعاداتهم فإن سياحته تكون ناقصة إذا لم يزر جبال الأنديز ويشاهد آثار الحضارة الإنكية نسبة إلى شعب الانكا العظيم ـــ لذلك عزمنا على الذهاب إلى جبال الأنديز فحجزنا في صباح هذا اليوم مع إحدى الشركات السياحية على أن نسافر فجر غد الاثنين.

وقد كنا خرجنا مبكرين من الفندق إلى مكتب هذه الشركة وقد دلنا عليها إعلان عنها في الفندق وسألنا إدارة الفندق عنها قبل أن نخرج.

وقد شاهدنا في صباح هذا اليوم عاملات النظافة في شوارع ليما وهن من القرويات ذوات الأصل الجبلي الهندي ــ هنود الأنديز ــ اللآتي لا نضارة على وجوههن، بل عليها أمارات الفقر والعوز. ومع ذلك قل أن ترى فيهن نحيلة بل أغلبهن بدينات الأجسام كثيرات الثياب، أو هكذا يخيل إليك إذا نظرت إليهن بسبب كون ثيابهن واسعة فضفاضة.

البحث عن الجمعية الإسلامية :

معي عنوان جمعية إسلامية في بيرو أخذته من أوراق وردت إلى مكتبنا عن طريق السفارة السعودية في بوينس آيرس عاصمة الأرجنتين ولكنها لم ترسل من الجمعية الإسلامية نفسها، وإنما هي من السفير الجزائري في بيرو حملها إلى السفير السعودي في الأرجنتين. فكان لابد من الاتصال بأهل الجمعية ومعرفة المزيد من أحوالهم قبل أن ينظر في أمر مساعدتهم.

لذلك ذهبت أنا ورفيقي الرائد عبدالله العريفي نهتدي بالعنوان الذي معي.

ونادينا على صاحب سيارة أجرة وأريناه العنوان فلم يعرفه وكذلك فعل آخر مع أنهما اتفقا على أن الأجرة «اوناميل» أي ألف صول وسيارات الأجرة هنا بدون عداد لذلك لابد من المساومة عند الركوب. أما الثالث فإنه نظر إلى العنوان وقال: اركبا.

ثم أخذ يسألنا عن بلادنا وقال: أنا لبناني الأصل ولكني لا أعرف العربية. ثم قال: هل أنتما فلسطينيان؟ فقلنا: لا، وليس من الحزم أن نخبره بأننا سعوديان لأن السعوديين مشهورون في الخارج بكثرة المال، والسخاء في إنفاقه، وهما خصلتان لا يحب السائح الحازم أن يعرف

بهما أو بإحداهما.

وصلنا فلم نهتد إلى العنوان، فسألنا عن مكان لأي رجل عربي؟ فدلونا على مطعم لم نجد فيه أحداً من أربابه العرب، وإنما وجدنا عاملاً (بيروانيا) ــ من أهل بيرو ــ فيه فقال: إن هذا العربي صاحب المطعم هو وأهله يكونون في البحر اليوم لأن اليوم الأحد يوم العطلة الأسبوعية ولا يعودون إلا بعد الرابعة عصراً.

ثم ترك عمله وذهب معنا إلى العنوان المكتوب فإذا به على حانوت مغلق لم نجد بقربه باباً مفتوحاً بل كل الحوانيت القريبة مغلقة هذا اليوم الأحد. فأعطينا السائق أجره وتركناه.

ثم ذهبنا للاستراحة في حديقة صغيرة قريبة فيها مقاعد وفي أجزاء منها نساء معهن بضائع صغيرة قد بسطنها على بسط أو حصر من صنع وطني، وعليها بضائع رخيصة من صنع هذه البلاد ولولا مشكلة الحمل لأخذنا منها كثيراً.

وبعد فترة من الوقت عدنا إلى العنوان عسى أن نجد حوله أحداً فلم نجد إلا رجلاً أسبانياً مع ابنة له فسألناه قائلين ونحن نشير إلى هذه اللافتة: عربي، عربي مسلمانو مسلمانو فقال: سي، سي، أي، نعم وأسرع يسير أمامنا وهو يشير إلينا أن نتبعه حتى صعد طابقاً في عمارة قريبة وطرق باباً لم يستجب للطرق، فالتفت إلينا وهو يرطن بكلمات فهمنا «لامار» وتعني البحر بالاسبانية. وسينكو يعني خمس. وكان معنى هذا أن أهل البيت سيعودون من البحر في الساعة الخامسة وكانت الساعة الآن هي الثانية.

فذهبنا إلى مطعم قريب. وتغدينا فيه، وتلبثنا قليلاً بعد الغداء وشرب الشاي من أجل تضييع الوقت.

على شاطيء البحر :

لم يضع الوقت بسرعة، لذلك خرجنا في جولة على ما حول هذه المنطقة حتى وصلنا حديقة فيها باعة للأشياء الخفيفة على فرش بسطوها على الأرض وعلى عربات يدوية قد أوقفوها ووقفوا معها.

وقد لاحظت في هذه المرة أن بين البائعات قلة من المختلطات اللاتي ولدن بين الأسبانيين والهنود الأمريكيين لجيل واحد فجمعن خصائص من الطرفين عنصراً جديداً ليس خالصاً لأحد الجنسين.

من أغرب ما رأيناه عند الباعة في هذه الحديقة حيوانات غريبة صغيرة محنطة أحدها يشبه حيوان «اللاما» لولا أنه صغير واسمه بلغتهم «بيكونيا» وثمنه أربعة آلاف وخمسمائة صول أي: ثمانية دولارات. ما أرخصه، ولكن ما أغلى نقله خول العالم.

عند بائعة صغار اللاما مع الرائد العريفي في ليما- بيرو

ومن الغرائب التي رأيتها في هذه الخريطة أنهم قد نحتوا تماثيل على رؤس جذور بعض الأشجار القديمة اليابسة فيها فترى جذع شجرة ثابتاً في الحديقة ولكن رأسه منحوت فيه تمثال لآدمي أو حيوان أو شكل فني آخر غيرهما.

ثم خرجنا إلى ساحل البحر نسير على أقدامنا لأنه ليس بعيداً منا فوصلنا إلى نقطة غير التي وصلنا إليها أمس مع الحافلة السياحية فمدينة ليما تمتد على ساحل البحر مسافة خمسين كيلو متراً. ومع ذلك رأينا القمم الترابية المرتفعة تطل على البحر من عل ودون أن يكون بينهما مانع من أبنية أو نحوها.

ومن أغرب ما في المنظر شق عظيم في هذه التلال المرتفعة الواقفة، وكانه مجرى واد قادم من الجبال التي تقع خلف العاصمة ليما منطلقاً إلى المحيط وقد أقاموا جسراً عليه لأنه بدون ذلك الجسر يمنع من استمرار السير على الشاطيء.

وأما التلال التي ترى قرب الشاطيء على وجه الخصوص وقرب العاصمة على وجه العموم من هذه النقطة، فإنها تلال جرداء رمادية اللون كئيبة المنظر.

ومع ذلك فإن الشاطيء المرتفع الذي نسميه شاطئاً لأنه واقع على البحر وإلاَّ فإنه مرتفع جداً عن الماء كان مزدحماً بالناس في ساعة هذا الأصيل المعتدل الجو الخفيف الذي لا رطوبة فيه بل هواؤه يشبه الهواء الصحراوي الجاف مع أنه على ساحل أكبر بحر في العالم وهو المحيط الهاديء. ولكن ربما كان سبب ذلك هو موقع البلاد بالنسبة إلى خط الاستواء أو إن شئت الدقة قلت: موقع البلاد من خط العرض الذي يساوي ١٣ درجة جنوب خط الاستواء فذلك يشبه خط هذه الدرجة بالنسبة إلى البلدان شمال خط الإستواء.

والموجودون من الناس في هذا الجزء المشرف على المحيط من المدينة كلهم من المتنزهين منهم طائفة من المسنين، ومنهم بعض العجائز اللائي احضرن معهن كلابهن ربما لكونهن لا يجدن من يرغب في صحبتهن من بني آدم، وبخاصة من طائفة من المتنزهين الشبان الذي لا تعدم منهم عاشقين قد التف خداهما على حد قول أبي نواس، وهم لا يخافون في ذلك لومة لائم.

والجو يغري بالبقاء فالموقع يطل على مكان مرتفع على البحر والشمس تتهيأ للسقوط في هذا المحيط العظيم والجو كليل تهامة لا حر ولا قُر ـــ كما في حديث أم زرع ـــ والبساطة وتكاد تقول البراءة هي الشائعة هنا، أو هي التي تحس بها في وجوه الناس وتصرفاتهم.

ومن الطريف في هذا الأمر أن فتاتين من أصل أوروبي جنوبي كانت إحداهما تحاول أن تصور الأخرى في هذا المكان الشاعري وتحاول أن تظهر قرص الشمس التي كانت تتدنى للمغيب في المحيط في الصورة فكان شعر صاحبتها يأبى أن يمتثل لرغبة صاحبته في أن يهدأ حتى تأخذ الصورة لأنه كان يتمايل مع النسيم. فرآها أحدهم وأشار إليها ممازحاً قائلاً لها: إن شعرك الجميل لا يريد أن تأخذي هذه الصورة ولا يخضع إلا إذا أمسك به شخص غير صاحبته!

فأجابت على مزحه قائلة: هذا صحيح تستطيع أن تمسك به حتى تنهي الصورة إذا أردت، ولم يرد ذلك لأنه يعلم أن هذا من رد الفعل عند غانية من الغواني اللائي يغرهن الثناء، كما قال شوقي.

ولم أر باعة كثيرين هنا وإنما رأيت صياداً معه سمك رمادي كأنما كان لونه منسجماً مع اللون الرمادي الكئيب لتلال «ليما» وقد اصطاد هذا السمك لتوه من البحر ويقول: إن ثمنه وهو يزن ثلاثة كيلات ألفا

«صول» ويساوي ذلك أقل قليلاً من أربعة دولارات أمريكية.

حي انظر الزهور :

انصرفنا من شاطيء البحر قبل غروب الشمس بقليل عائدين إلى الحي الذي فيه بيت رئيس الجمعية الإسلامية الأخ «عيسى حميدة» واسم الحي «ميرا فلورس» ومعناها: انظر الزهور وهو حي جميل راق، في حدائق بيوته بعض الزهور ومع ذلك فإنه يعتبر في نظرنا مجرد حي حديث جيد ولكنه جيد جداً بالنسبة إلى الأحياء القديمة الفقيرة في هذه المدينة الكبيرة التي يغلب الفقر على طائفة من أهلها.

وأكثر بيوته دارات «فيللات» اسمنتية معتادة ولكنها تكاد تكون كلها جديدة لأنها معتنى بها من حيث المظهر. وفيه (عمارات) كبيرة.

جانب من حي انظر الزهور في ليما

وبعد غروب الشمس بقليل طرقنا البيت الذي كان الرجل «البيرواني» قد دلنا عليه فاستجاب للطرق خلاف المرات السابقة، حيث كان أهله قد خرجوا في نزهة إلى البحر في هذا اليوم الأحد يوم العطلة الأسبوعية.

وكانت المستجيبة امرأة دهشت بل عقل الدهش لسانها عندما خاطبناها بالعربية فلم تكن معتادة على أن تجد أمامها أجانب يتكلمون العربية إذ العرب الذين يزورون العرب الآخرين عددهم محدود، وهم معروفون للجميع تماماً.

نادت رجلاً عربياً جاء إلينا مهلياً مرحباً وقال إنه أخ لرئيس الجمعية ثم فتح بيت رئيس الجمعية وقال: تفضلوا إن أخي محمد سيأتي بعد قليل.

ثم جاء الأخ (محمد عيسى حميدة) وهو رجل متزن عاقل ومتدين فأكثر من الترحيب وقال: إن هذه فرصة عظيمة لأننا لا نرى زواراً من البلدان العربية إلاّ في النادر، لاسيما وأنتم من اخواننا في المملكة العربية السعودية الشقيقة التي تضم الحرمين الشريفين ومهابط الوحي.

ثم أخذ يرسل في طلب الأخوة من أعضاء الجمعية الإسلامية فحضر منهم عشرة كان منهم الأخ وصفي حميدة نائب الرئيس وحسين عوض من الأعضاء النشطين وكل الذين حضروا هم فلسطينيون إلا واحداً من لبنان اسمه أسد عامر وهو أمين صندوق الجمعية.

وعقدنا معهم جلسة طيبة تناولت أوضاع العرب عامة والمسلمين خاصة في هذه البلاد. وذلك قبل أن يحضر (أسد عامر) إذْ أنه ما أن حضر حتى بدأ تعكير صفو الجلسة وذلك بأنه حمل على سياسة المملكة العربية السعودية وأثار صفقة الأسلحة الأمريكية للمملكة التي منها طائرات الإنذار المبكر «الأواكس» وقال: إنها لا فائدة منها.

ثم تبين السبب في حملته وهو أنه شيعي لبناني متأثر بالدعاية الإيرانية التي تحمل على المملكة العربية السعودية وتوزع ذلك على العالم، وتقول: إنها تساند العراق.

وأخذ يحمل على الولايات المتحدة الأمريكية كأنما ليثير غضبنا بزعمه ولم يعرف أننا نبغض إنحياز أمريكا لليهود أكثر مما يبغضه غيرنا إلا أن البغض وحده لا ينفع في رد الظالم عن ظلمه ولا يقف في وجه الجاني دون جنايته.

وقد أوضحنا له أن التعامل مع أمريكا ليس مرجعه الموافقة على سياستها فضلاً عن التعاطف معها وإنما مرده إلى حاجتنا إلى الأسلحة المتطورة التي لا تتوفر إلاّ في مناطق معينة من العالم.

وقد أفسدت هذه المناقشة السياسية العقيمة متعة الجلسة فأخذنا نحاول أن نرد هجومه ونصحح أراءه فلا نستطيع.

وكان رئيس الجمعية الأخ محمد عيسى حميده بعقله الواسع وحلمه الكبير يحاول أن يرده عن كلامه دون أن يبالغ في ملامه، فهو رئيسهم الذين انتخبوه وهو أهل لرئاستهم من دون شك. كما أن أحد العقلاء منهم صدهم ووبخهم وقال: ياقوم، نحن نريد أن نفرح بإخواننا أولاً. ثم نتكلم معهم في أمود ديننا وفي المساعدة على إنشاء مسجد لنا وتعليم إسلامي لأولادنا وأنتم قد تركتم ذلك وذهبتم في بحث الأمور السياسية كل مذهب لا يؤدي إلاّ إلى جدال عقيم، أما كفاكم ما يلقى أهلوكم وذووكم في الأوطان العربية من تفرق الأهواء، وتشعب الآراء في السياسة؟

العرب والمسلمون في بيرو:

قال الأخ «محمد عيسى حميده» رئيس الجمعية الإسلامية وحسبك به عقلاً واتزاناً: لقد وصلت إلى هذه البلاد قبل ما يزيد قليلاً على

ثلاثين سنة وبالتحديد عام ١٩٥٠م من بلدي رام الله في فلسطين وأنا أحمل الجنسية الأردنية ومازلت أحتفظ بها حتى الآن رغم سهولة حصول مثلي على الجنسية البيروانية. هكذا ينسبون إلى بيرو «بيرواني» باثبات نون زائدة كما كان بعض العرب يفعلون في النسبة إلى الجسم والنفس والروح: جسماني ونفساني وروحاني قال وأعمل بالتجارة وتجارتي رائجة ولله الحمد وقال: عندما وصلت إلى «ليما» في ذلك التاريخ لم يكن عدد سكانها يزيد على مليوني نسمة. أما الآن فإنه يناهز ستة ملايين.

وقال هو وغيره: إن الكثرة الكاثرة من العرب هنا هم من المسيحيين وإن المسلمين لا يزيدون بينهم على نسبة العشر أي: ١٠٪.

وقالوا: إن أكثرية العرب في بيرو هم من فلسطين وبعدهم يأتي اللبنانيون والسوريون.

وهم من الأغنياء أصحاب رؤوس الأموال والمصانع. بل إنهم مع اليهود يتقاسمون التحكم في اقتصاد بيرو، وإن كان اليهود أكثر عدداً وأثرى مالاً.

وفي برلمان بيرو نائب واحد فلسطيني وآخر من لبنان وكلاهما مسيحي الديانة قالوا: ومن الأدلة على كثرة المسيحيين الفلسطينيين وغناهم أن النادي العربي الفلسطيني في ليما قوي وغني حيث أنهم اشتروا أرضاً له بحوالي مليوني دولار أمريكي ورصدوا مليوني دولار أخرى لعمارته.

ويتألف مجلس إدارته من عشرة أشخاص تسعة منهم من المسيحيين، وواحد منهم مسلم قال إخواننا: وهذا النسبة على قلة المسلمين فيها عادلة بالنظر إلى عدد المنضمين إلى النادي وإلى

الإسهامات المالية التي يسهم بها أعضاؤه إذْ ٩٥٪ من نفقاته دفعها النصارى العرب.

وقالوا: إن عدد العرب كلهم من مسيحيين ومسلمين في بيرو يبلغ اثنى عشر الف نسمة، وإن عدد المسلمين في مدينة «ليما» العاصمة وما حولها هو مابين ثلثمائة إلى أربعمائة نسمة، وعددهم في خارج ليما قليل جداً.

وأكثر المسلمين هم من فلسطين. و٩٠٪ منهم يقيمون في ليما. وذكر أن الاسم الرسمي لجمعيتهم هو «الجمعية الخيرية الإسلامية» وأنها مسجلة عند الحكومة ومعترف بها والاسم الكامل لرئيسها هو (محمد عيسى عبدالحميد حميدة) وليس في «ليما» إلاّ سفارتان عربيتان هما السفارة المصرية والسفارة الجزائرية إضافة إلى مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية، وليس فيها سفارة ليبية وهذا خلاف العادة التي جرت على أن يفتح الليبيون سفارات حتى في البلدان التي ليس لهم فيها مصالح حيوية، غير أن الأمر في أكثر أقطار أمريكا الجنوبية يختلف عنه في بقية القارات إذ العداء فيها للشيوعية واليسارية أو لمن يسعى إلى ذلك هو الشائع المنتشر أو هو القاعدة الغالبة، وأكثر الحكومات فيها حكومات عسكرية يمينية.

وحدثونا عن أحوالهم في هذه البلاد فقالوا: إن الناس هنا من حكام ومحكومين لا يكرهون العرب، ولا يضايقونهم في أعمالهم التجارية ولا في أمور دينهم، وإن تجارتهم قد نمت حتى إن آل حميدة لهم أربعة حوانيت تجارية مزدهرة في هذا الحي الراقي «ميرافلورس» وفيه يسكنون.

وقالوا: انه لذلك لا شيء يضايقهم من المستقبل إلا الخوف على أولادهم من الضياع والذوبان في هذا المجتمع الكافر.

ولذلك يريدون أن يشتروا بيتاً يجعلونه مسجداً ومدرسة لتعليم أولادهم أمور دينهم إلا أنهم لم يجمعوا حتى الآن لهذا الغرض إلاَّ ستة آلاف دولار.

وقد أوضحت لهم أن ذلك مهم جداً وأن المدرسة أولى من بناء المسجد إذّ يمكنهم أن يقيموا الصلاة في أي مكان يتخذونه للصلاة حتى يتمكنوا من بناء المسجد الذي يريدونه.

وبينت لهم أن المملكة العربية السعودية مستعدة لإرسال رجل يكون إماماً لهم ومعلماً لأولادهم ومرشداً لكبارهم في أمور دينهم، وأنها تدفع راتبه وتذاكر سفره وليس عليهم أكثر من أن يتقدموا بطلب رسمي من الجمعية ويعطونا إياه أو يرسلونه إلينا ونحن نكمل ما يتبقى من إجراءات لمجيئه إليهم.

وأما المسجد فإن المملكة أيضاً تسهم في بنائه كما هي عادتها في الإسهام في التبرع للمشروعات الإسلامية ولكن شرط الإقتناع بأن المشروع سينفذ بالفعل كأن يكونوا بدأوا بالتنفيذ أو على الأقل حصلوا على جزء مهم من النفقات اللازمة لذلك.

لقد تلقوا عرضنا هذا بالشكر وقالوا: إننا سنتشاور في هذا الأمر في جلسة تعقدها الجمعية.

فقلنا لهم: لكم ما تشاؤون وموقفنا ينحصر في مساعدتكم مساعدة إسلامية أخوية خالصة من الأغراض أو المصالح الأخرى.

والغريب في الأمر أن الترحيب الذي اعتدنا على أن نلقاه من إخوتنا المسلمين في أنحاء كثيرة من العالم تجاه عرض للمساعدة الإسلامية الخالصة مثل هذا العرض لم نجده عندهم ما خلا رئيسهم الأخ /محمد

عيسى حميده، وشخص آخر معه. أما الآخرون فانهم قابلوا ذلك ببرود ظاهر أو بعبارات لا تنم عن الإمتنان المعتاد.

بل إن «أسد عامر» استمر يثير مسائل سياسية بعبارات يصعب السكوت عليها مما حدا بالرئيس والعقلاء معه أن يحسموا هذا الموضوع وألا يعاد البحث فيه.

كان الأخ «محمد عيسى حميده» يحضر الكاكاو ومعه النقل وهو يقول: اعذرونا على تأخير العشاء، لأننا ننتظر بعض الإخوة أن يقدموا.

ثم أخذ يقدم الحلوى العربية ومعها القهوة التركية.

فقلنا: إن الحديث عن أوضاع العرب والمسلمين خاصة، وعن أوضاع الناس هنا يكفينا عن العشاء بل هو لنا عشاء وأي عشاء لأننا لا نجده كما نريده عند غيركم.

وكنت أتأمل قاعة الجلوس في منزله فأجد فيها ما ينطق بأنها لرجل مسلم حريص على الظهور بالمظهر الإسلامي، منها لوحات إسلامية عربية وصورة للمسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة في القدس. ثم أخذت النسوة العربيات يسعين في إعداد العشاءِ على مائدة منصوبة في جانب من غرفة الجلوس التي نحن فيها.

وكان عشاء عربياً شهياً فيه ورق العنب المحشو وغيره من الأطعمة العربية التي كنا قد افتقدناها منذ مدة.

وكانت عبارات الترحيب وبشاشة وجه مضيفنا الأخ /محمد عيسى حميدة، خيراً من القرى كما يقول الشاعر العربي.

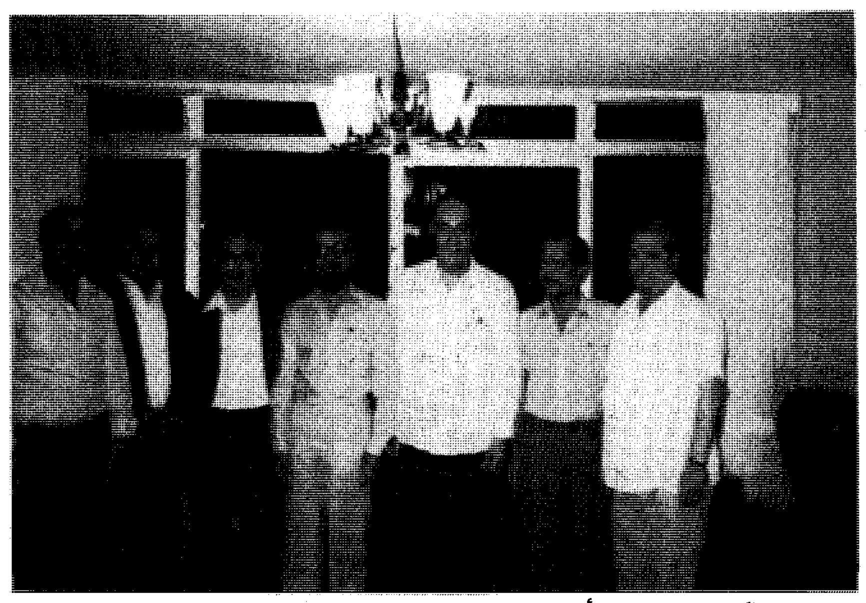

صورة تذكارية في بيت الأخ محمد عيسى حميده رئيس الجمعية الاسلامية في بيرو – وهو الثالث من اليمين على يساره الرائد العريفي وعلى يمينه المؤلف.

ولم نفرغ من الطعام والكلام إلا بعد أن جاوزت الساعة الثانية عشرة فأوصلنا أحد الإخوة بسيارته إلى الفندق. ومررنا بالساحة القريبة من الفندق ساحة «سان مارتين» في نفس الوقت الذي دخلنا فيه مدينة ليما أول مرة منذ ليلتين. وكان بنا شوق إلى التجول فيها في هذا الوقت لولا أن علينا أن نصحو مبكرين لنقوم بجولة أكبر وأبعد في جبال الأنديز من بلاد بيرو الواسعة.

يوم الأثنين: ١٦ /٣ /١٤٠٢هـ ١١ /١ /١٩٨٢م :

إلى جبال الأنديز :

من الأماني التي تحققت وكنت أظنها قبل سنوات بعيدة التحقيق زيارة بلاد الإنكا ومشاهدة حضارتهم التي أقاموها في جبال الأنديز.

ولذلك كنت سارعت ورفيقي الأخ الكريم الرائد عبدالله العريفي عند

وصولنا «ليما» إلى إحدى الشركات فحجزنا منها في رحلة من الرحلات السياحية التي يشترك فيها في العادة طائفة من الناس لا يعرف بعضهم بعضا.

وكانت أجرة الرحلة ثلثمائة وتسعة دولارات أمريكية للشخص الواحد قيمة تذكرة السفر بالطائرة ذهاباً إلى كيسكو وإياباً إلى «ليما» مع نفقات الفندق والأدلاء ووسائط السفر في الجولات السياحية هناك لمدة ليلتين وثلاثة أيام كما قالوا.

وكان موعد الخروج إليها في الصباح الباكر هذا اليوم.

فقد صحونا مبكرين لصلاة الفجر ثم تهيئة الأمتعة.

وفي الساعة الخامسة والنصف كانت سيارة الشركة ومعها أحد الموظفين تقف عند باب الفندق ثم تسير في شوارع «ليما» في الغبش.

وكان أكثر السيارات في الشوارع في هذه الساعة المبكرة هي الحافلات التي تنقل العاملين المبكرين إلى أعمالهم.

أما المارة فإنهم قليل إلا أننا رأينا بعد فترة مجموعات من الناس متجمهرين عند محطات الحافلات العامة ينتظرون أن تمر بهم حافلة تقلهم إلى ما يريدون. وقد صفوا صفوفاً طويلة مما يعطي انطباعاً ظاهراً بأن الحافلات العامة غير كافية لحاجة الناس في ساعات الصباح التي تكثر فيها الحركة.

وقد مرت سيارة الشركة بفندقين آخرين أخذت منهما راكبين.

ثم انطلقت إلى المطار في طريق صحراوي هو الذي جئنا منه عند القدوم إلى ليما ولكننا لم نر من منطقته شيئاً بسبب الظلام الدامس.

أما الآن فإننا نراه في نور هذا الصباح الذي ملأ هذا الركن من بلاد بيرو غير أن الشمس لما تطلع بعد وكأنها تغالب جبال الإنديز الواقعة شرق العاصمة حتى تسمح لها بأن تشرق من جديد.

كان منظره ومنظر المنطقة التي يخترقها منظراً كئيباً بل بائساً فهو صحراوي خالص ولكن صحراءه ليست بالصحراء العذراء التي فيها الصفاء والنقاء حتى من أسباب الخضرة والنماء وإنما قد لوثوه بأقذار بعضها متخلف من أكوام من القمامة رأيناهم يحرقونها غير بعيد من الطريق في مواضع قد أصبحت رمادية لتزيد هذا المنظر الخاوي كآبة على كآبة أو لتنسجم مع منظر تلال جبلية غبراء اللون عارية من الخضرة ترى من بعيد وعلى البعد بيوت متفرقة متعددة من الطين الرث السيء المنظر.

بالإضافة إلى وجود بعض الأوساخ والمخلفات التي لم تصل إليها حتى أيدي جامعي القمامة الذين يحرقونها في أمكنة غير بعيدة من الطريق.

والطريق نفسه إزفلتي ولكنه سيء الزفلتة، ذكرني بحالة الطرق قرب المدن في بلاد متخلفة قبل ربع قرن أو يزيد.

وبعض الأراضي الخاصة قد (حوشوها) أي جعلوا أسوار أفنيتها بالحصر كما يفعل بعض الأفارقة وسكان المناطق الاستوائية في آسيا رغم الفارق ما بين هذا الجو الصحراوي في هذه البلاد وبين الجواء الاستوائية في إفريقية وآسيا.

وكان الطريق واحداً للذاهب والآيب حتى قربنا من المطار فأصبح الطريق مزدوجاً تفصل بين شقيه جزيرة فيها شجر كبير كالأشجار الصحراوية.

ورأيت أشجاراً صحراوية خُيِّل إلى وأنا أنظر إليها من السيارة أنها شجرة الهرم المعروفة في بلادنا وقد جمعوا منها عدة وأحرقوا بعضها ليقاوموا تكاثرها في الأرض.

وعند الوصول إلى الساحة الخارجية للمطار شعرت بأنني قد دخلت عالماً آخر فهي منظمة وفيها أعداد كبيرة من السيارات، والمسافرون الذين ينزلون من هذه السيارات ويدخلون إلى المطار فيهم طائفة عليهم مظاهر الغنى واليسار.

وهذا مثل صغير على الفارق الكبير في الدخول وبالتالي في منازل الناس والمظاهر من الغنى والفقر في أكثر بلدان أمريكا الجنوبية.

ومع ذلك لا يعدم المرء بين المسافرين ذوي المظهر الحسن شيئاً يذكره بالطائفة الأخرى وربما تكون هي الطائفة الأكثر عدداً في بيرو طائفة الفقراء غير المتعلمين إذّ رأيت وأنا أدخل إلى المطار امرأة قروية قد افترشت بلاط الأرض وقد أخرجت ثديها ترضع منه ولدها غير مبالية بالمقاعد الكثيرة الوثيرة الموجودة فيه ولا بالذين يجلسون فيها أو يمرون حولها.

والساحة الداخلية في المطار حديثة جيدة، وفيها لوحة تبين الرحلات من أحدث اللوحات المماثلة لها فخيل إليَّ أن بينها وبين المناظر التي رأيتها في الطريق إلى المطار قروناً من الزمن.

من ليما إلى كيسكو :

تقع مدينة كيسكو في جبال الأنديز حيث الآثار الأمريكية الجنوبية الخالصة التي خلفها شعب الإنكا العظيم الذي لم يتأثر تأثراً مباشراً بحضارة أرضية أخرى معروفة وحيث يعيش الهنود الأمريكيون أو هنود

الأنديز في قرى لا تزال خالصة لهم لم يخالطهم فيها مخالط من غيرهم.

وتقع«كيسكو» في جهة الجنوب الشرقي من ليما في منطقة كلها جبلية تتدرج فيها الجبال في العلو ابتداء من بعد لا يزيد على ثلاثين كيلو متراً من «ليما».

كان موعد قيام الطائرة في الساعة السابعة والنصف صباحاً غير أنهم بعد انتظار وهرج ومرج في المطار أعلنوا عن أنها ستتأخر لمدة ساعة واحدة ثم أحضروا طعام إفطار خفيفاً لجميع ركاب الرحلة وكانوا قد تجمعوا عند بوابة الخروج وهم خليط من سكان الأمريكتين، وبعض الأوروبيين السائحين وليس معهم من العرب أحد إلا نحن أنا ورفيقي الرائد عبدالله العريفي. ولكن وجودنا لن يلفت نظر أحد بل لن يحس به أحد لأن أكثر الركاب هم في مثل ألواننا ففيهم سياح من عدد من أقطار أمريكا الجنوبية وهم يشبهون سكان البلدان العربية في الألوان. وكنا نظن أن تأخر قيام الطائرة لن يطول وإن كنا قد أوجسنا خيفة من تقديم الإفطار على الأرض. فصح ما توقعناه إذْ لم تقم إلاّ في العاشرة والدقيقة الخمسين متأخرة ثلاث ساعات وثلثاً عن موعدها المقرر.

والطائرة من طراز بوينج ٧٣٧ أعلنت المضيفة بانكليزية ضعيفة أن الطيران إلى كيسكو سيستغرق ساعة.

عندما نهضت الطائرة كان أول ما يشاهده الراكب فيها أسفله مزارع قليلة في بعض الوديان ونهر شحيح المياه وبيوت مسطحة السقوف.

ثم مرت في استعدادها للارتفاع على جزء من العاصمة في جانب البحر ثم اتجهت بعد ذلك إلى الجنوب الشرقي من ليما وهو الاتجاه

الصحيح فصارت عندئذ تطير فوق جبال جرداء عارية من الخضرة بل إن المرء يراها كذلك من جهة الشرق ويرى شاطئاً بحرياً أجرد أيضاً عارياً من الخضرة من جهة الغرب وهو ساحل المحيط الهاديء. فلا ترى في هذه الجبال التي لا تبعد في رأي العين كثيراً عن الساحل ولا في الساحل شجرة خضراء واحدة بل تبدو كأنما أنت في بلاد صحراوية قاحلة.

وبعد قليل أخذت الجبال تحت الطائرة بالإرتفاع فصرنا نشاهد عليها بعض السحاب وشيئاً من الشجر الأخضر في الوديان.

ثم تكاثفت السحب فمنعتنا من رؤية الجبال التي لا منظر غيرها لأن المنطقة كلها منطقة جبلية الا أننا كنا نلاحظ من فجوات السحب اخضراراً بدأ في سفوح الجبال ثم أخذ لون الجبال يكتسي بالخضرة وهي جبال حمر ذات لون بهيج تشكل جزءاً لا يتجزأ من جبال الأنديز.

وكان منظر الجبال كلها منظر الجبال المكومة أكواماً بدون وديان مستقيمة أو شبه مستقيمة، وإنما يوجد فيما بينها أراض متسعة نسبياً من الأماكن المطمئنة الخضر.

في مطار كيسكو :

عند مقاربة مطار «كيسكو» صارت الجبال خضراً خضرة شاملة، والأراضي المتسعة على قلتها بينها خضراً أيضاً خضرة يخيل إليك معها أنك وصلت إلى بلاد أخرى غير بلاد بيرو التي عاصمتها ليما.

وفي الأراضي المطمئنة غير الواسعة بين الجبال وعلى سفوح الجبال نفسها تلمح منازل حمر السقوف يكاد السحاب الأبيض يلامسها.

ولا تكاد الطائرة ترتفع عن قمم الجبال كثيراً لأن المنطقة كلها جبلية عالية ولقد أخذ الخوف يخالج شعورنا من النزول في هذه الجبال التي يخيل إليك أنك لن تجد فيها مكاناً منبسطاً يكفي لنزول الطائرة لولا الثقة بمعرفة الطيار بهذه الأرض.

ثم أنساني هذا الخوف من هذه الأوتاد الجبلية التي نراها منصوبة في كل مكان شعوري بأنني الآن في جبال الأنديز، وأنني سأصل إلى عاصمة شعب الإنكا ذي الحضارة الأمريكية المستقلة وأنني إن لم أستطع رؤية مدنيته ظاهرة مزدهرة فإنني سوف أرى آثار تلك المدنية القديمة وأشاهد بل وأتعامل مع بقايا شعبه الأمريكي الجنوبي الأصيل الذي لم يفسد عليه حضارته إلاَّ قوم من الأوروبيين الذين يدعون الحضارة والتقدم.

وتخيرت الطائرة فجوة صغيرة بين الجبال، وعرفت أنها هي المطار لأنني رأيت على سفوح الجبال بل وقمم بعض التلال المتطامنة بيوتاً ذات أسقف مسنمة مما يدل على أن المنطقة مطيرة.

فأسرعت تقصد تلك الفجوة لا تكاد تجد لها طريقاً بين رؤوس الجبال التي تجلل أكتافها الخضرة وتظلها السحب الداكنة ذات الأهداب البيض الضافية في منظر جميل، بل جليل إذا تصورت أنه سيفضي بك إلى أن تشهد آثار عمارة لجيل قبل هذا الجيل، ومن قبيل غير القبيل الذي أعتدت على أن ترى آثاره ومخلفات حضارته.

كانت المنطقة تظهر بوضوح أنها مزورعة زراعات خفيفة نافعة، وفي بعض المزارع وعلى أطراف المدينة منازل ذات سقوف حمر مائلة إلى جهة واحدة حتى تنزلق عنها مياه الأمطار.

وقد اتضح منظر المدينة التي تقع في متسع من الأرض صغير في لحف إحدى التلال الجبلية. وبدا المطار في الجانب الآخر من هذا المتسع ضيق الرقعة حتى لتشفق وأنت تقبل عليه من أن لا يتسع لهبوط الطائرة.

ولكن الطائرة نزلت بسرعة نزولاً يخيل إليَّ وأمثالي أنه غير مريح وأن قائد الطائرة ضغط على كابحات الحركة «الفرامل» فيها ضغطاً شديداً.

وكانت بناية المطار تبدو حمراء الطلاء غير وجيهة ليس فيها الاستعداد الكافي بالأجهزة التي تكون في المطارات الأخرى ومن أهم مظاهر ذلك أن العمال أخذوا يحضرون أمتعة الركاب بأيديهم ينقلونها بأيديهم وعلى أكتافهم ثم يضعونها في ساحة صغيرة محاطة بسياج خشبي قصير، وجعل الركاب ينادون العمال وهم يشيرون إلى أمتعتهم أن هذا متاعي فأعطوني إياه مما استدعى وقتاً طويلاً وحركة كثيرة غير منتظمة حتى اضطر بعض الركاب إلى الدخول من ذلك السياج، وأخذ متاعه بنفسه رغم معارضة المسئول.

ولكن كثيراً منهم وفيهم ركاب طائرتنا كانوا قد تأخروا في الوصول مدة ولا يريدون أن يضيعوا وقتاً آخر في هذا المطار الذي كان عامراً بالقادمين الذين أكثرهم من السياح وفيهم بطبيعة الحال نسبة من أهل البلاد سكان جبال الأنديز.

سنيورا ماريا وسنيور فرناندو :

كان مندوب الشركة السياحية قد قال لنا وهو يودعنا في مطار ليما: إنكم ستجدون مندوبة الشركة في استقبالكم وما عليكم إلا أن تسألوا عن «سنيورا، ماريا» فهي معروفة في المطار وهي تصلكم بشركتنا التي ستقوم بتنظيم الجولة لكم.

غير أننا لم نجد «سنيورا ماريا» ولا أية سنيورة أخرى في استقبالنا وكان معنا في الطائرة نفسها سياح آخرون تابعون للشركة السياحية نفسها ومنهم جماعة من كولومبيا وأخرى من فنزويلا والكل يسأل عن سنيورا ماريافلما لم نجد جواباً شكونا أمرنا إلى موظف في المطار فأجاب: إن (سنيور فرناندو) هو الذي كان في استقبالكم وقد لبث فترة في انتظار الطائرة وسوف نرسله إليكم.

وبعد لأي جاء (سنيور فرناندو) شاباً هادىء الطباع ينقصه الحزم في عمله فنقل أمتعتنا إلى حافلة صغيرة كانت واقفة في ساحة خارجية مقابلة للمطار ثم قال بالاسبانية (مومنتو) أي لحظة ثم غاب وتركنا في السيارة مدة طويلة.

وكانت في هذه الساحة طائفة من النساء والفتيات الجبليات القرويات يبعن فواكه محليات وأشياء أخرى محلية صغيرة.

فنزلنا من الحافلة نقطع الوقت بالتفرج برؤية هؤلاء الهنود الأمريكيين الجبليين فكان أول انطباع عن السلع التي يعرضونها أنها رخيصة من ذلك أن المندرين أو اليوسف أفندي سعر الثمار الخمس منه مائة صول أي حوالي إثنى عشر قرشاً سعودياً ونوع من الكمثرى غير الجيدة الواحدة بخمسة صولات. ومصنوعات يدوية محلية رخيصة.

إلا أن الغالب على ما يبعنه هو عدم الجمال أو الجمال المتوسط مثلما هو الغالب على أشكالهن ومع ذلك هن في غاية الجرأة على التحدث مع الرجال الأجانب بل يلاحقن الرجال يعرضن عليهم بضائعهن ومعهن طائفة من الصبيان الفقراء الذين لا أرى لهم عملاً وقد وجدت متعة في الحديث مع هؤلاء الصبية، وكانوا مرحين بسيطين

يسرعون إلى الحديث مع السياح، وينظرون إليهم بعيون فيها معنى الاستجداء وإن لم يصرحوا بذلك.

وكان هذا الوقت الطويل لم نر فيه السنيور فرناندو الذي جاء إلينا بعد لأي وهو يعتذر عن التأخير وبيده زجاجات من شراب اسموه (إنكا كولا) إضافة إلى (الإنكا) أصحاب البلاد.

في مدينة كيسكو :

اسمها هندي أمريكي عريق فهو بلغة قبيلة من قبائلهم الأمريكية يعني (كبد العالم) وناهيك بهذا الاسم شاعرية وإثارة للخيال فمجرد شعورك بانك على وشك الدخول إلى (كبد العالم) أمر مثير للشاعرية فكيف إذاً تصورت ان (كبد العالم) هذه هي في قمة من قمم العالم ويسكنها شعب من أغرب شعوب العالم وهو شعب الإنكا سكان الأنديز القدماء الذين أسسوا حضارتهم بمعزل عن حضارات العالم.

على انك ربما تتساءل مثلي عن السر في اختيار اسم (كبد العالم) لمدينة (كيسكو) وليس (رئة العالم) لكون شعب هذه المنطقة الجبلية العالية يحتاج إلى وفرة (الأكسجين) في الهواء أكثر مما يحتاج إلى عنصر آخر من عناصر الهواء، فالأكسجين هنا على هذا الارتفاع الشاهق ليس وفيراً كما يكون في الأراضي المنخفضة. ولذلك قيل إن صدور أهالي هذه المنطقة والمراد الأقفاص الصدرية لهم هي أوسع بكثير مما هي عند الناس الآخرين من سكان الشواطىء مثلاً ذلك بأن قلة الأكسجين في الهواء تتطلب أن يدخل الواحد منهم إلى رئته كميات من الهواء أكثر مما يدخله غيره حتى يستخلص من ذلك القدر اللازم من (الأكسجين) للجسم.

تركنا منطقة المطار إلى بلدة (كيسكو) مع طريق إزفلتي ضعيف الزفلتة، على يمينه منطقة مزروعة خضراء وبانت المدينة على البعد واقعة في لحف الجبل.

وعلى مشارف المدينة كانت هناك حديقة ذات زهور مختلفة الألوان وبدا واضحاً من منظر الأهالي انهم الهنود الأمريكيون الجنوبيون ذوو المظهر الخاص بهم الذين يمتازون بقصر الأجسام.

وعدا عن البرودة الظاهرة في الجو فإن هناك أشياء ذكرتني بما لم أنسه من كون البلاد باردة وهي الملابس الغليظة التي يرتديها بعض القرويين الذين واضح انهم حضروا إلى المدينة لبعض اغراضهم، وكلاب قصيرة الأرجل ذات فراء كثيف حتى يقيها البرودة الشديدة التي نشعر بها الآن ونحن في فصل الصيف فما بالك بفصل الشتاء؟

ثم دخلنا إلى البلدة فوجدنا شوارعها ضيقة بعضها مرصوف بالحجارة الصغيرة بدلاً من الإزفلت ربما لوفرة الحجارة في هذه المنطقة الجبلية.

ثم انزلتنا الشركة في فندق يقع على شارع ضيق ولذلك كان يبدو من الخارج وكأنه من فنادق الدرجة الثانية إلا أنه في الحقيقة من الدرجة الأولى كما كنا قد اتفقنا مع الشركة وقال الدليل: إنكم ستتغدون في الفندق على ضيافة الشركة هذه الوجبة فقط وأما باقي الوجبات فيجب أن تدفعوا فهذا النظام الذي نسير عليه. وقال: إنه يجب أن تكونوا على استعداد للانطلاق في جولة على مدينة كيسكو وما حولها تبدأ في الساعة الثانية ظهراً.

وكانت الساعة تبلغ الواحدة والربع من بعد الظهر. ولذلك لم تكن هناك فسحة من الوقت للتجول في المدينة مشياً كما كنت أفعل عندما

أصل إلى بلد من البلدان في العادة.

لذلك بادرنا نحن وطائفة من السائحين الذين كانوا مثلنا مع هذه الشركة إلى طعام الغداء وأسرعنا نصلي الظهر والعصر جمعا وإذا بالدليل يسرع بقرع أبواب الحجرات ويدعونا إلى:

جولة على الآثار في مدينة كيسكو:

والجولة هي على الآثار التي في المدينة وليست على المدينة نفسها وكأنما (كبد العالم) التي يبلغ عدد سكانها مائتي ألف نسمة لا تستحق أن يجال فيها أو أن الوقت لا يتسع لغير الجولة على آثار الأولين.

بدأت الجولة على حافلة صغيرة كان فيها دليل آخر غير سنيور فرناندو الذي ينحدر من أصل أسباني. وأما الدليل الجديد فإنه هندي جبلي أصلاً وفرعاً ومنظراً ومخبراً.

وكان الجو بارداً في هذا الفصل الصيفي مما جعلنا نلبس ملابس صوفية ثقيلة ومع ذلك فإنه لم يكن بالغ البرد كما كانت قد أوحت به إلينا مشاعرنا وتوقعنا في هذه المنطقة.

كان أول انطباع عن شوارع هذه المدينة وازقتها هو الضيق فيها ورصفها بالحجارة الصغيرة وعدم الإستقامة لمسافات طويلة ومع ذلك فهي لا تخلو من بيوت جميلة ذات طراز اندلسي بسقوف عربية ورواشين بارزة وان كان ذلك أقل مما هو موجود في مدينة ليما.

وقد بدا جنس من السكان قليل من ذوي الأصول الأسبانية وهم يبدون أكثر وجاهة في المنظر من أهل البلاد الأصلاء إلا أنهم قلة في المدينة بالنسبة إلى أولئك.

وقد أخذت الحافلة تجمع أناساً من السياح من فنادق مختلفة، وكان المطر ينزل خفيفاً ثم تزايد نزوله مما جعل شوارع المدينة تسيل بالمياه سيلاً خفيفاً بمياه حمراء قانية لأنها قادمة من تلال حمر.

وكان الدليل يتكلم بانكليزية ضعيفة كلاماً قليلاً وبالاسبانية لغته ولغة أكثر الذين معنا كلاماً طويلاً لا نعرفه.

آثار من الإنكا :

في حي قديم من المدينة أوقف الدليل الحافلة وطلب منا النزول لمشاهدة أثر قديم من آثار الإنكا وهو حائط قصر طويل جداً مبني من الحجارة الحمراء المهذبة التي يخيل لمن يراها انها قد لانت بأيدي بناتها حتى صارت كأنها الطين أو ألين من ذلك لأن بعضها مبني على بعض من دون أن ترى مادة بينها فهي بذلك تشبه بعض الآثار المصرية القديمة (الفرعونية) لولا أن هذه (الإنكية) حجارتها أصغر وتاريخ بنائها أحدث إذْ ذكر لنا الدليل أنها قد بنيت قبل وصول الاسبان إلى هذه البلاد بثلثمائة سنة فعلى هذا يكون قد مضى عليها ثمانمائة سنة.

ويلاحظ المرء بسهولة الظاهرة الهندسية التي تميز أبنية الإنكا وهي أن أعلاه مائل إلى الداخل وليس مستقيماً في ارتفاعه وليس هذا من عيب فيه ولكنه طراز الأبنية الباقية من آثار ذلك الشعب ومع ذلك هو محكم البناء إحكاماً عجيباً يدل على ما بلغه هذا الشعب من مدنية راقية وقال الدليل ان هذا كان حائطاً لبناء كبير هدمه الاسبانيون ولم يبق منه إلا هذا ممتداً مع امتداد شارع ضيق مرصوف بالحجارة.

هل نحن في مصر ؟

ثم ذهبنا إلى بقايا معبد عظيم الأبنية هائل الهندسة يشبه تماماً

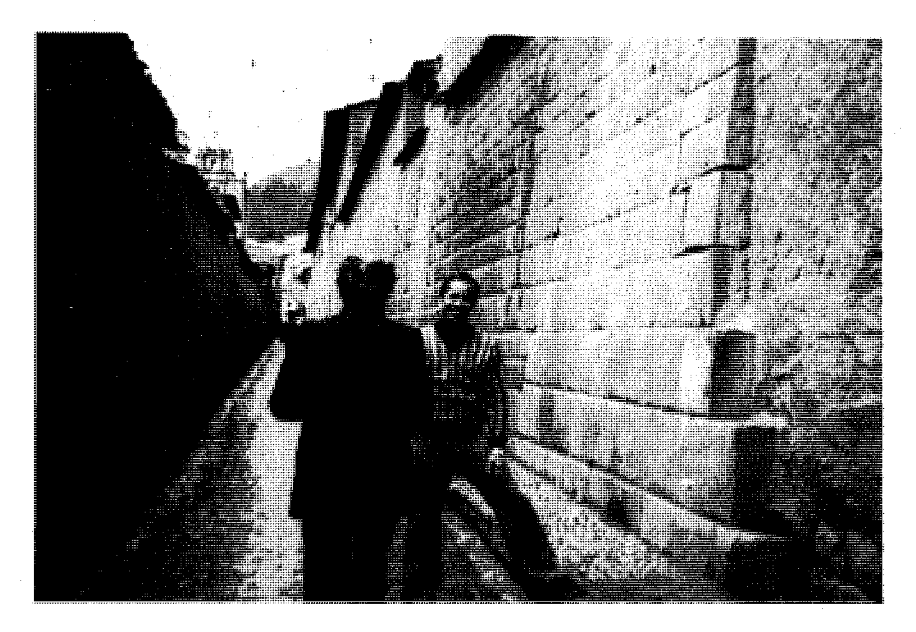

مع الرائد العريفي بين آثار الإنكا في مدينة كيسكو

المعابد المصرية القديمة في كون مداخل بعض الغرف مكونة من ثلاثة أحجار كبيرة حمراء اللون أحدها من اليمين والثاني من اليسار والثالث فوقها كالسقف وهي حجارة عظيمة تجدد عجب من يراها من استطاعة بناتها الأوائل قطعها ونقلها ثم تثبيتها في موضعها من البناء تثبيتاً هندسياً فنياً لا شك في أن نقل الحجر الواحد منها يتطلب جهود عشرات من الرجال الأشداء أو وجود آلات هندسية معقدة مما لم يكن معروفاً عند أهل تلك العصور.

وهذه الحجارة الكبيرة هي مهذبة تهذيباً عجيباً ومشذبة تشذيباً متساوياً.

وأسقف الممرات الضيقة والغرف الصغيرة من حجارة حمراء ضخمة.

وعندما كنا وزملاؤنا السائحون نتفرج برؤية هذا الأثر العظيم ونعجب من صنعته سألني أحد المرافقين وهو من تشيلي قائلاً: أيوجد في البلدان العربية مثل هذا؟

فقلت له: نعم إنه يوجد مثله وأعظم منه في مصر.

وقد حملني سؤال هذا الشخص وما تراءاى لي من شبه في هندسة البناء وقطع الحجارة على التساؤل عما إذا كانت توجد صلة بين هذه الحضارة الأمريكية الجنوبية النائية وبين الحضارة المصرية القديمة؟ وإذا ما كان الأمر بالإيجاب كان لايزال سؤال ملح عن كيفية تخطي تلك الصلة للمحيطات ثم صعودها إلى هذه البلاد الجبلية الوعرة؟

وأهم من ذلك السؤال الملح الآخر وهو: متى كان ذلك؟

وإن كان يعرف على وجه التقريب أن ازدهار هذه الامبراطورية (الإنكاوية) كان منذ القرن الثالث عشر الميلادي حتى أسقطها الاسبان في القرن السادس عشر وبطبيعة الحال أن بناء هذا المعبد ينتمي إلى الطراز نفسه الذي ينتمي إليه طراز بناء الحائط الذي رأيناه قبله ولذلك كانت جميع حيطان هذا المعبد ومداخله مائلة الأعالي إلى الداخل حتى المداخل لذلك نجد أن مداخل الغرف تكون متسعة من الأسفل ضيقة من الأعلى. وكذلك الغرف نفسها وذلك من دون أن يكون هناك خلل في البناء.

ثم انتقلنا إلى مشاهدة قاعة كبيرة مبنية من حجارة حمراء مثل بقية الآثار التي شاهدناها في هذه البلاد حتى الآن.

ومن أكثر ما في هذه القاعة طرافة رفوف منحوتة في حيطانها

الحجرية داخلة في الحائط ومع ذلك لم تخرج عن طراز الهندسة الشائع وهي أن أعاليها أضيق من أسافلها وهي عالية عن أرض الغرفة المفروشة بالحجارة الحمراء بحيث لا تصلها يد الواقف على الأرض فهل يدل هذا على أن الذين بنوا هذه الآثار كانوا طوال الأجسام؟

الجواب: أن هذا غير محتمل فبقايا هذا الشعب ذوو أجسام يغلب عليها القصر. وإنما يدل ذلك على أنهم نحتوها ليضعوا فيها أشياء لا تصل إليها أيدي عامة من يدخلون المكان وإنما تصل إليها أيدي أناس معينين مثل كهنة المعابد بواسطة شيء يساعد على الوصول إليها. وهذا كله من باب التخمين لا الخبر اليقين.

وهذا المعبد واسع المساحة متعدد النواحي ولذلك أقام الاسبانيون على انقاض جانب منه قصراً عظيماً ذا أروقة أرضية أندلسية تركبها أروقة أخرى في طابق ثان محيطة بصحن أندلسي أصيل مكشوف بلاطه من حجارة رثة.

وقد حرص الدليل على أن يلفت نظرنا ونظر سائر السياح إلى باب كبير لهذا القصر وقال: إنه على طراز عربي أحضره الأسبانيون إلى هذه البلاد من الأندلس. فالتفت إلينا مرافقونا وقالوا: أهذا صحيح؟ اتصنعون الأبواب على هذا الشكل في بلادكم؟ فقلت لهم: إن هذا صحيح، ولا يزال الناس في المغرب العربي يصنعون مثل هذه الأبواب تماما.

في أزقة كيسكو :

خرجنا من هذا المعبد وقد تكاثف السحاب ونزل المطر فواصلت الحافلة جولتها مع أزقة في المدينة ضيقة لا يتسع بعضها لأكثر من سيارة واحدة لأنها كانت قد أنشئت قبل استعمال السيارات.

وبعض البيوت فيها مبنية بالحجارة وبعضها بالطين والجص وان كان

بانوها يضعون في أساسها حجارة تقيها الرطوبة.

فسألت الدليل عن السبب في التفاوت ما بين هذه البيوت في المادة التي تبني بها؟ فقال: إن البيوت الحجرية هي الطراز المحلي القديم وأما البيوت المبنية بالطين والجص فإنها من العهد الأسباني والأسبانيون هم الذين أدخلوا طريقة بنائها إلى هذه البلاد.

ثم في الريف :

ثم خرجنا إلى خارج المدينة مع طريق جبلي ريفي ذي طين أحمر مع جبال أو على الأدق تلال جبلية لأن المنطقة كلها في جبال وتطل هذه التلال على مدينة كيسكو والطريق يصعد فيها ملتوياً لا بعدم السائر فيه أن يرى بيوتاً من الطين الأحمر الخالص وكأنما هو يرى البيوت الطينية القديمة في جزيرتنا العربية لولا أن سقوف هذه البيوت الأمريكية الجنوبية أو على الأدق (البيروانية) نسبة إلى بيرو مائلة إلى جانب واحد حتى تنزلق عنها مياه الأمطار.

وحمرة الطين في البيوت من حمرة الأرض والتلال فاللون الأحمر هو الغالب على أكثر الأشياء في هذه المنطقة حتى قالت إحدى السائحات معنا: كل شيء هنا أحمر.

فقلت: لا تنسي أن المكتشفين الأوروبيين سموا سكان القارة الشمالية الأصليين بالهنود الحمر وهؤلاء وإن لم يكونوا منهم فإن التسمية بالهنود قد شملتهم وإن لم يشملهم اللون الأحمر النقي فألوانهم حمر تميل إلى السمرة.

وعند نهاية الارتفاع في هذه التلة الجبلية التي تطل على مدينة كيسكو أوقف الدليل الحافلة في متسع بجانب الطريق معد لذلك،

وقال: يمكنكم أن تتمتعوا بمنظر فريد من مكان عال لمدينة كيسكو الحمراء فكان منظراً جميلاً سر له الجميع وأخذوا يلتقطون الصور الجماعية التذكارية لهذه المناسبة.

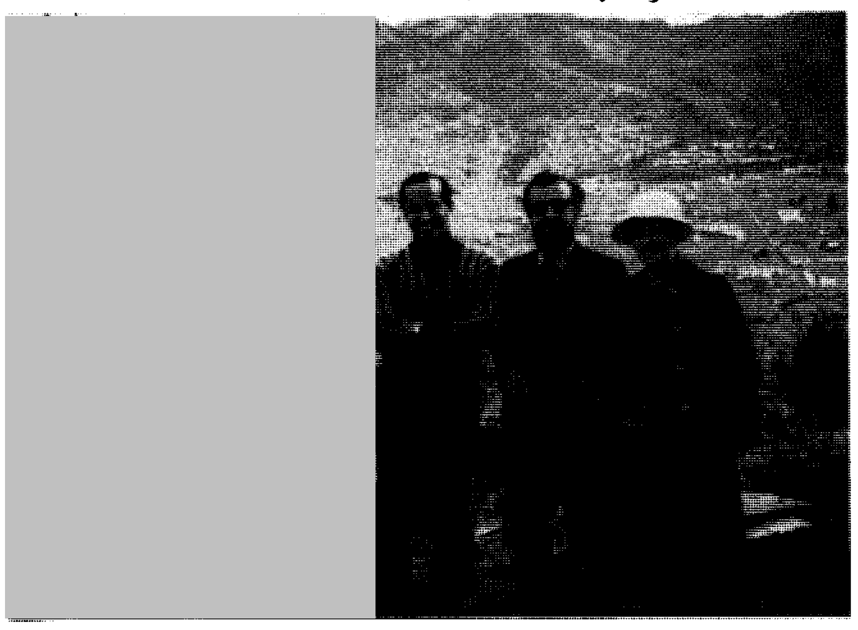

بعض رفقاء الجولة السياحية في مرتفع يطل على مدينة كيسكو(المدينة الحمراء) التقط الدليل هذه الصورة.

وقد بدت المدينة ذات منازل غير وجيهة إلا أن منظرها الأحمر تحيط بها جبال خضر، وبخاصة في هذه الساعة من الأصيل التي غابت فيها الشمس خلف الغيوم الجبلية الكثيفة التي كانت ترسل رذاذاً لطيفاً في تلك الساعة كان رائعاً.

إلى ثلاثة آلاف وسبعمائة متر:

قال الدليل والحافلة تهم بالانطلاق صاعدة في الجبال العليا موجهاً كلامه إلى جميع الركاب معه وإن كان لا يقصد منهم إلا من كانوا في منتصف العمر: إننا الآن لم نكد تغادر مدينة كيسكو التي ترتفع ثلاثة

آلاف وأربعمائة متر عن سطح البحر فمن كان منكم أحس فيها باضطراب في القلب أو ضيق في التنفس فليخبرنا لأننا ذاهبون الآن إلى مكان يرتفع ثلاثة آلاف وسبعمائة متر عن سطح البحر.

ثم قال: إنه يجب أن تتذكروا أننا الآن في جبال الأنديز العالية وهي مكان غير ملائم لمن يشكون أي متاعب في قلوبهم.

ولم يكن معنا في الحافلة شيوخ أو عجائز ومع ذلك قال بعضهم: إن معنا حبوباً وأدوية تناولنا منها البارحة واليوم. وقد أشفقت من ذلك لأن القائلين كانوا أصغر مني سناً، ولكنني لم أكن أشكو من شيء من ذلك ولله الحمد من قبل، ولم أجد ما أشكو منه بعد ذلك إلا ما كان من النوم في الغرفة هذه الليلة إذّ كان البرد شديداً فيها عندما أردت النوم فاشعلت المدفئة بقوة مما جعل مقدار الأكسجين الموجود في الغرفة يقل فأحس بالضيق فخشيت أن يكون ذلك من أثر الارتفاع غير أنني عند ما اطفأت المدفئة زال ما كنت أشعر به من الضيق.

قال الدليل والحافلة تنطلق: الآن وقد أحطتم علماً بهذا الارتفاع الكبير لنبدأ السير في جولتنا فسرنا صاعدين في منطقة جبلية قد كساها الربيع بحشائش وأعشاب وزهيرات برية ذات ألوان برتقالية وبنفسجية ذكرتني بزهور الربيع البرية في بلادنا مع الفارق إذْ الأرض هنا كلها مفروشة ببسط خُضْر، أكثرها من أعشاب الرعي وليست من أشجار الغابات.

وقلت للدليل: إن هذا الفصل هو فصل الصيف ولكنه أشبه بفصل الربيع فماذا يكون فصل الربيع عندكم؟ فأجاب: إنه بارد ولذلك لا تزدهر الأعشاب ويكثر الرعي إلاّ في فصل الصيف هذا.

حيوان اللاما :

طالما سمعت وقرأت عن (اللاما) الحيوان المميز لجبال الأنديز في أمريكا الجنوبية كما أن الرنة هي الحيوان المميز لمنطقة المراعي على حافة المنطقة الشمالية، وان الجمل هو الحيوان المميز في الصحراء.

ولكنني لم أر (اللاما) يرعى في الخلاء ومعه راعياته ـــ جمع راعية ـــ من نساء الهنود الأمريكيين بقاماتهن القصيرة وقبعاتهن الواسعة قبل اليوم وزاد المنظر متعة وقوف الحافلة عند طائفة من البائعات الهنديات، وهن يبعن صناعات يدوية محلية أغلبها من جلود (اللاما) هذه حتى المصنوعات الجلدية الصغيرة كالحقائب وحافظات النقود رسموا عليها صورة اللاما. وكذلك أشياء مصنوعة من وبر (اللاما). إلى جانب بعض الأقمشة التي رسموا عليها اللاما أيضاً.

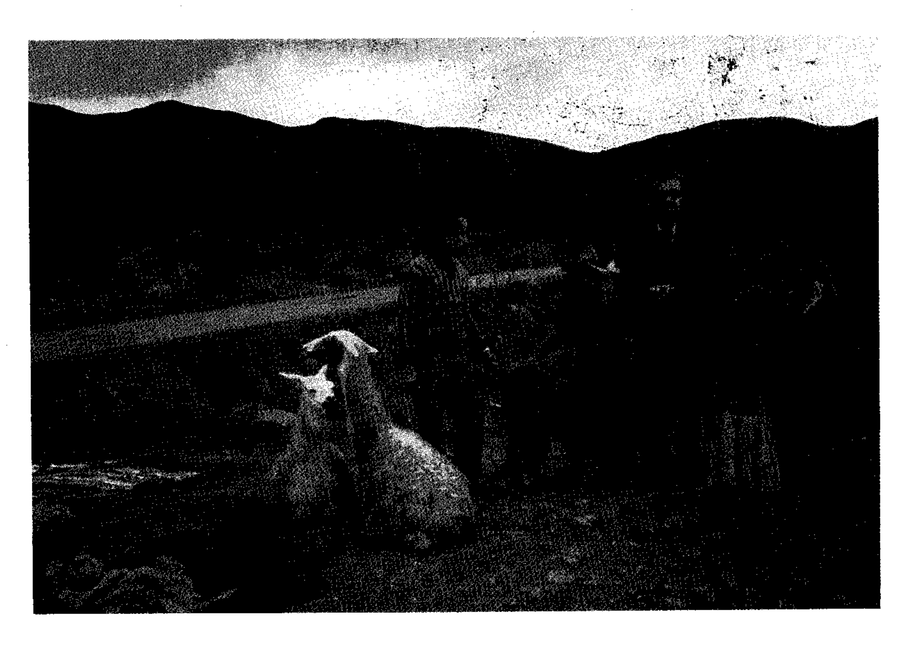

مع راعية اللاما وطفليها في جبال الأنديز والمؤلف متقلداً المصورة

وسلعهم رخيصة بحيث أن جلد اللاما نفسه الذي قد أعد للتعليق في الحائط يبيعونه بخمسة آلاف صول أي: حوالي عشرة دولارات أمريكية.

ولك أن تتصور منظر حيوان اللاما الغريب وهو قطيع يرعى في هذا المكان الذي لا يوجد مكان غيره في قارة أخرى ترى فيه هذا القطيع منه وهو طليق حر يرعى كما نرعى الأغنام في القارات الأخرى ومعه رعاته من شعب جبال الأنديز الذي لا يوجد أيضاً في قارة أخرى غير هذه القارة.

وعندما رأيت قطيع اللاما منشغلاً بالرعي في هذا البساط الأخضر الذي كله مرعى ذكرت قطعان الأغنام والإبل وهي تلتمس القليل من المرعى في صحرائنا العربية فرثيت لها إلا أنني عندما ذكرت فصل الشتاء البارد في هذه الجبال العاتية، وشح المرعى فيه قلت في نفسي: هذا من التوازن في العيش بين الحيوانات في هذين المكانين.

وحيوانات (اللاما) أليفة ربما كان ذلك أكثر من إلفة الأغنام البرية لأننا كنا نقترب منها للفرجة فنمسها وقد نمسك بها فلا تفر منا، ولقد حاولت أن أجعل إحداها تبرك لأرى كيف يكون بروكها فلم أستطع إلاَّ بعد أن عاونتني الراعية الهندية على ذلك. ولقد أخذنا مع هذا الحيوان صوراً تذكارية عديدة. وربما صح القول بأن كل شيء جميل هنا ما عدا النساء فلم يرزقن حظاً كبيراً من الجمال.

وقد أطلنا الوقوف في هذا المكان وفي استجلاء أمر هذا الحيوان، رغم أن السماء كانت نرسل رذاذاً من المطر.

واللاما: حيوان أكبر من الخروف الكبير وأصغر من الحمار الكبير

قليلاً وهو ذو ألوان مختلفة كالإختلاف الذي يكون في ألوان الإبل أما خلقته فإنها تختلف كثيراً عن الحيوان المعروف لنا في ا لبلدان العربية، فرأسه ورقبته فيها شبه من البعير مما حدا ببعض الناس إلى أن يجعله من فصيلة الإبل، إلا أنه لا سنام له، وليس له خف وإنما له حافر، ويشبه الغنم في كثير من الأشياء غير أنه ليست له (ألية).

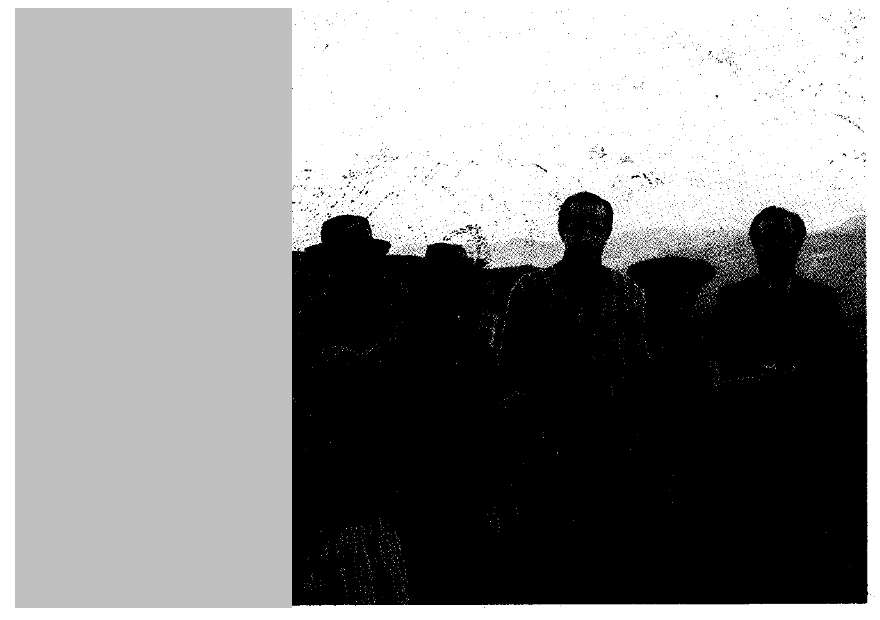

راعيات اللاما في جبال الأنديز حول لاما اسود صغير واحدى السائحات تصور لاما ابيض كبير بدت رقبته ورأسه في الصورة.

نبـع الحيـاة :

في نهاية الارتفاع الذي بلغته الحافلة ويبلغ ثلاثة آلاف وسبعمائة متر فوق مستوى سطح البحر كما قال الدليل أوقف الحافلة عند ماء ينبع من أثر هناك قال الدليل وهو يغترف بيده غرفة من ماء النبع من حوض قد أعد لذلك في أسفل النبع: إن هذا النبع مهم جداً عند شعب الإنكا وإن لهم عقيدة قديمة فيه هي أن الشرب منه يطيل الحياة ولذلك كانوا

يقصدونه من مسافات بعيدة.

فشرب الرفاق وطربوا لا لكون هذا الماء قد أشعرهم بطول العمر وامتداد الحياة فذلك عند بعضهم ليس لهم به كبير اهتمام إذا كانت حيواتهم ستطول وهم على ما هم عليه من أعمار قد شابها القذى كما قال الشاعر :

والعمر مثل الكاس يرسب في أواخره القذى

ولكنهم طربوا لما أحسوا به من متعة في هذا الأصيل الجميل ذي النسيم البليل، ولأنهم شربوا مما شاهدوه من المعلومات الثمينة النادرة. ولذلك كانت روح المرح وحب النكتة هي السائدة بينهم فقد أخذوا يتفقدون أنفسهم بعد ذلك الشرب وسألني أحدهم عما شعرت به بعد أن شربت من نبع الحياة هذا؟ فأجبت بأنني شعرت أنني شاب فقالوا كلهم: ونحن كذلك.

واسم هذا النبع «تامبو ماتشاي».

مع بعض رفقاء الجولة السياحية أمام احد آثار الانكا قرب مدينة كيسكو.

ومع هذا الشعور بالفرح والانشراح الذي يعتقد فيه شعب الإنكا العظيم أنه يطيل الحياة فإن بعض المسنين من السياح كان يضعون أيديهم على قلوبهم يخشون عليها من هذا الارتفاع.

النعناع المقوي للقلب:

انحنى الدليل إلى الأرض واقتلع نباتاً أخذ يشمه ويناول الرفاق واحداً واحداً شيئاً منه وهو يقول: إنه مقوٍ للقلب، وهو مع ذلك طيب الرائحة. إن الإنكيين ــ الانكاس ــ يقولون: إنه مقوٍ للقلب وإن اسمه عندهم «مونيا».

ولم أستغرب أن يوجد نبات مقو للقلب في هذه البلاد الجبلية التي ترهق القلوب، وإنما استغربت عندما شممت هذا النبات وذقته فإذا هو النعناع الذي نعرفه في بلادنا بعينه أو هو نوع منه فأخبرته بذلك وقلت: إننا نعرف أنه نافع لأشياء ولكن ليس من بينها مرض القلب. وكنا قد بلغنا أعلى نقطة وأبعدها عند نبع الحياة هذا لذلك قال الدليل وهو ينصرف منه:

إننا ننصرف الآن عائدين إلى منطقة كيسكو ولكننا سنسلك طريقاً آخر غير الذي قدمنا منه لأن هنالك أشياء تستحق أن ترى في الطريق ومنها :

إنكـــو :

وهو مدرج حجري سمي بهذا الاسم (إنكو) وهو بقايا معبد قديم للإنكا بقيت منه حجارة مرصوصة على الأرض وعلى الدرجات من دون مادة أخرى تربط الحجارة بعضها ببعض.

وقد بقيت من جدرانه بقايا ينوف ارتفاعها ارتفاع قامة الرجل.

ولقد وجدت الدليل لا يعبأ به كثيراً وذلك لكثرة الآثار الصخرية التي

خلفها الإنكا وقال لي ذلك بعد أن سألته عن السبب في عدم الإيضاح الكامل.

بعض رفقاء الجولة السياحية حول (إنكو) أحد مخلفات الإنكا.

وكانت الريح الباردة قد اشتدت فأخذ الرفاق ينكمشون بسبب ذلك في ثيابهم ولما أردت أن التقط صورة لهذا الأثر القديم لم يسر الشريط داخل المصورة وقال أحد ظرفاء الرفاق: إنه قد انكمش بسبب البرد.

الرائد العريفي يعدو عن المطر أثناء الجولة حول مدينة كيسكو.

الأثر الهائل :

انطلقنا من (إنكو) إلى أثر من الآثار الهائلة التي خلفها (الإنكا) وهو بناء بحجارة سوداء ضخمة جداً ما رأيت بناء بالحجارة السوداء الصلدة مثله من قبل بحيث أن الحجر الواحد منها يبلغ حجمه حجم السيارة ولقد عجبت من استطاعتهم البناء بهذه الأحجار الضخمة لأنها ليست كالحجارة الحمراء التي تلين للتقطيع.

ويبلغ طوله ستمائة متر في بناء متصل على هيئة حيطان من الحجارة يركب بعضها بعضاً كلما ارتفعت صغر مقدار حجارتها ودخلت قليلاً أسفل الجبل الذي تستند إليه.

وارتفاعه يختلف إذْ بعضه تهدم بعامل الزمن وبعضه لا يزال ارتفاعه خمسة أمتار والواقع أنه من أكبر الآثار التي خلفها أرباب الديانة الأقدمون وإن لم يكن فاخراً لأن عظم الحجارة وطبيعتها لم تمكنهم من أن يجعلوه كالأبنية الحجرية الموجودة في كيسكو أو التي خلفها الفراعنة في مصر. وقال الدليل: إن هذا الأثر أيضاً من الآثار التي خلفها شعب الإنكا العظيم والتي لا نستطيع أن نريكم إياها كلها لكثرتها وتباعدها.

واسم هذا الأثر (اسكسيكي واما) وهو من بقايا معبد قديم.

وهنا سأل أحد الرفاق الدليل عن هذه الحجارة أهي من هذا المكان؟ أم أحضروها من خارجه؟ فأجاب: بل أحضروها من مسافة بعيدة. فقال السائل: كيف صبروا على مشقة إحضارها؟ فقال: لأن الدافع لهم على ذلك هو التدين.

وقلت: إن هذا له مظهر في الديانة المصرية القديمة التي أوحت

إليهم أن يعملوا هذه الأعمال التاريخية العظيمة، وقلنا: إن هذا من بركة التدين و(دين خرافي خير من لادين) كما يقال وشعب الإنكا هذا حملته العقيدة الدينية على الإبداع في البناء ولو كان ذلك على أساس ديانة غير صحيحة.

وعند هذا الأثر الهام الذي كانت حافلات السياح قد اجتمع عدد منها من باب المصادفة عنده كان هناك عدد من الهنديات الأمريكيات يبعن تحفاً محلية صغيرة وكتباً باللغة الأسبانية وكان المطر يهطل والأرض طينية زلقة بسبب مطر كان قد تواصل قبل وصولنا غير أنهن قد أخذن للأمر أهبته فأحضرن مظلات واقية من المطر نفعنا بعضها عندما وقفنا تحتها نرقب هذا الأثر ملياً، غير اننا احتجنا إلى الاقتراب منه أكثر فذهبنا تحت المطر نعدو إليه ثم رجعنا نعدو أيضاً فما كان من الدليل إلا أن انتهز هذه الفرصة والتقط صوراً للرفاق ليسترزق بذلك.

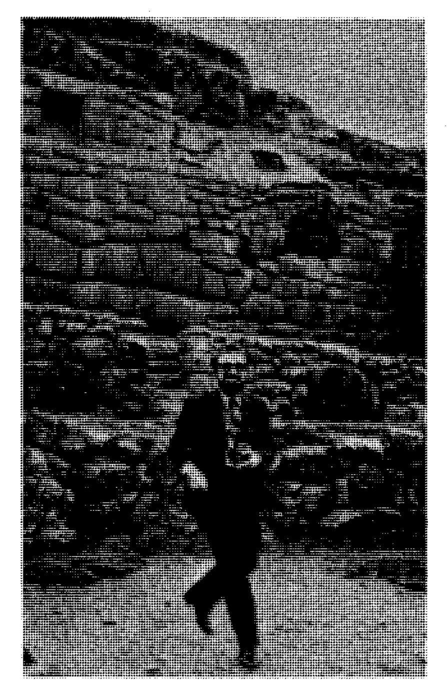

المؤلف يعدو عن المطر ممسكا المصورة بيده اليسرى.

العودة إلى مدينة كيسكو :

لم نستطع البقاء طويلاً خارج المدينة بسبب المطر فبدأنا العودة إلى كيسكو في الساعة الخامسة والنصف ونحن نحس بامتاع عظيم مصدره مشاهدة أشياء كلها غريبة من الحيوان والناس والآثار بل حتى هذه المنطقة الجبلية العالية.

وعند دخول المدينة قال الدليل: إن الجولة لم تنته بعد، وسوف نذهب الآن لمشاهدة كنيسة قديمة عظيمة البنيان.

وقد كان هذا صحيحاً بالفعل إذْ وجدناها هائلة البناء قد تأنق بانوها في ذلك ورفعوا أسقفها رفعاً شديداً وتبعاً لذلك جعلوا أبوابها كبيرة عالية وقد قال الدليل: إن ارتفاع سقفها يساوي ارتفاع خمسة طوابق وعملوا فيها من التماثيل المنحوتة ما يستغرق عمله دهوراً بعضها من الخشب، وبعضها من المعادن.

وبدا أن طراز بنائها ليس عربياً أندلسياً كما هي العادة في الأبنية الفاخرة والقديمة هنا وإنما هو مستوحى من طراز البناء الأمريكي المحلي. وإن كان الأسبانيون هم الذين بنوها لأنها كانت قد تم بناءها عام ١٦٨٤م.

وفيها محراب مطلي وما حوله من تماثيل وتزيينات بالفضة التي يميل لونها إلى الصفرة وقالوا: إن هذا نو ع نادر من الفضة الموجودة في هذه البلاد، وقالوا إن في هذه الكنيسة من الفضة عدة أطنان وفيها مقادير من الذهب كذلك لأن (بيرو) كانت مشهورة بإنتاج الذهب والفضة.

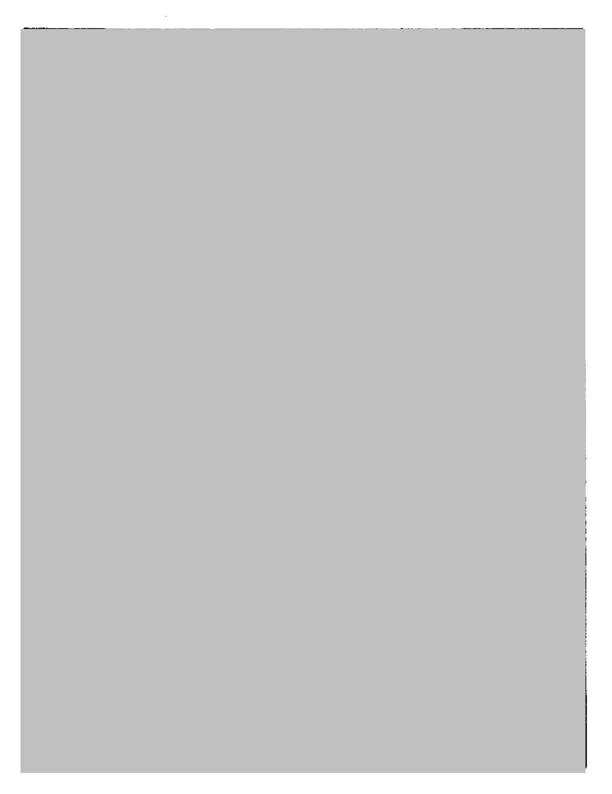

داخل الكنيسة التاريخية مع بعض رفقاء الجولة في مدينة كيسكو.

ثم عدنا إلى الفندق في السابعة مساءاً.

وكان المطر يهطل بغزارة واستمر كذلك حتى قرب منتصف الليل مما منعنا من التجول في أول الليل.

يوم الثلاثاء ١٧ /٣ /١٤٠٢هـ ١٢ /١ /١٩٨٢م :

سياحة في جبال الأنديز :

كانت جولة أمس في المنطقة القريبة من مدينة كيسكو من جبال الأنديز وأما جولة اليوم فإنها سياحية في جبال الأنديز في منطقة بعيدة عن مدينة (كيسكو) ومن المقرر أن تبدأ في الساعة السادسة والنصف صباحاً وأن تنتهي في الثامنة من هذا المساء فهي إذاً تستغرق يوماً كاملاً.

ركبنا الحافلة السياحية الصغيرة في الموعد المقرر وكان المطر يهطل منذ يوم أمس وإن كان يقف، يتخلل ذلك فترات من نزوله وقد مررنا على عدد من الفنادق كانت الحافلة تلتقط منها سياحاً تابعين لشركتنا.

وفي الساعة السابعة إلا قليلاً كنا نركب قطاراً سياحياً خاصاً، أي انه لا يركب فيه إلا السياح فليس هو بقطار عام وقد تحرك في السابعة تماماً بعد أن امتلأت عرباته بركاب من جنسيات عديدة لا يجمع بينها إلا الرغبة في السياحة في جبال الأنديز والاطلاع على آثار شعب الإنكا العظيم فهم من أقطار متعددة وإن كان يصح القول بأن أكثرهم من الأمريكتين وأوروبا.

سار القطار في ضواحي المدينة بطيئاً متثاقلاً والسبب في ذلك رداءة القضبان تحته وسوء رصف الأرض التي تحملها. وكان يسير في مجرى واد فيه ماء أحمر قليل ربما كان من أثر الأمطار التي سقطت أمس والبارحة. وعلى مجرى هذا الوادي بيوت ذات سقوف حمر وقد عجب الركاب وكنا منهم من كون القطار ظل مدة في هذه الضواحي وهو يتردد إذ تراه مولياً وجهه شطر الشرق فلا تشعر إلا وقد استقبل الغرب تم يعود إلى الشرق وهكذا والسبب في ذلك رداءة القضبان التي تحته لأنه كان يفعل ذلك للبحث عن (تحويلة) يذهب منها إلى الجهة التي يقصدها.

وكان هذا مثار تعليق الركاب وضحكهم لاسيما انهم كلهم من السياح الذين يكون الواحد منهم في العادة قد بدأ السياحة من دون أن يكون قد خلف في بلاده ما يشغل ذهنه لأنه لو كان لديه مثل ذلك لما تفرغ للسياحة.

وأكثر الذين في عربتنا في القطار هم من أقطار أمريكا الجنوبية وهم

مرحون قليلوا التزمت سريعوا الضحك. ومن الغريب أن أكثرهم من النساء وقد تبين أن أكثر نسائهم من الموظفات اللائي جئن إلى هذه البلاد لقضاء الاجازة.

ونساؤهم على غاية من الجرأة في الحديث مع الأجانب فهن في هذا الأمر أكثر من الأوروبيات لأن الأوروبيات عندما فقدن الوازع الديني عن ذلك كان لهن من الأعراف المعتادة ما يمنعهن من الاسراع في الحديث وطلب التعارف أما هؤلاء الأمريكيات الجنوبيات فليس لديهن شيء من هذا ولا ذاك كما أن سكان أمريكا الجنوبية يكثرون من الضحك بملء أفواههم. ومن الأمثلة على ذلك أنه كان في المعقد الذي أمامنا زوجان من ليما حديثا عهد بعرس قالا إنه لم يمض على زواجهما أكثر من ثلاثة أيام وهما يقضيان شهر العسل في داخل بيرو. الزوجة اسمها مارجريتا وأصلها من تشيلي والزوج: اسمه ماريو وهو من بيرو.

في داخل القطار السياحي على يساري السنيور ماريو وأمامه الرائد العريفي وهم يتبادلون حديثاً ضاحكاً مع ركاب في ركن آخر في العربة.

وقد قالت الزوجة: إن اسمي كان كذا ولكنه أصبح قبل يومين (مارجريتا ماريو) على اسم زوجي هذا.

ولقد طلت الزوجة فترة طويلة وهي تبدأ الحديث معنا وتكثر منه، ونحن لا نريد ذلك إذْ لم نر أنه من المناسب أن تترك زوجة الحديث مع زوجها الذي لم تتزوج به إلا منذ ثلاثة أيام وتتحدث مع الآخرين وحاولنا أن تسكت حتى قلنا لها: إننا لا نرى مناسباً أن تتحدثي مع غير زوجك كثيراً في رحلة شهر العسل هذه فقالت: إنني أتعلم اللغة الانكليزية والحديث معكما يفيدني ويزيدني تمريناً. كل ذلك والزوج يسمع كلامها وتترجمه له إلى الأسبانية.

ولم نعتقد أن ذلك صحيح وإنما الصحيح أنها تريد الاطلاع على أحوال قوم أجانب من بلاد بعيدة من باب حب الاستطلاع. ولم تخل حديثها من المجاملة إذْ قالت لنا: أنا أحب الفلسطينيين وأكره الاسرائيليين ولو كانوا متقدمين في العلم والصناعة، وقالت وهي تكتب إلى أمها في بطاقة بريدية اشترتها من القطار: إنني وزوجي (ماريو) قد صادفنا اثنين من النبلاء العرب وقضينا بعض الوقت في القطار معهما في حديث مفيد. هكذا ترجمت لنا ما كتبته لأمها بالأسبانية.

هذا وقد خرج القطار من هذا الوادي الضيق فركب تلالاً في ريف أخضر لأنهم في فصل الصيف وأما نحن فاننا نشعر داخل القطار بأن الجو كالشتاء في بلادنا.

ويواصل القطار سيره بسرعة غير كبيرة ولكنها مريحة للركاب لأن مقاعده جيدة والمناظر خارجه خلابة. ويتردد عليه بائعون نظيفوا الأدوات والمعروضات يبيعون المشروبات الباردة والساخنة والأكلات الخفيفة

بأسعار مناسبة حتى قطع مسافة مائة واحد عشر كيلاً في ثلاث ساعات ونصف.

وكل هذه المسافة في بلاد جبلية حقيقية قليلة السهول ولذلك زرعوا سفوح الجبال والتلال غير الواقفة في مدرجات كما هو المعتاد في الزراعة في الجبال وقد أوغل القطار في جبال الأنديز. ولم يمل الركاب بسبب غرابة المناظر التي يمر بها القطار وجمالها إلى جانب بعض الأشياء المسلية لهم من ذلك أن عازف ناي أخذ يخترق عربات القطار وهو يعزف لحناً شجياً من نايه للركاب ويسمون هذه الآلة الموسيقية (تشريقو) وفتيات أمريكيات جنوبيات أخذن يغنين أغاني أسبانية جماعية وكنا نظن أن غيرهم قد ينتقد هذا لأنه يفسد على من يريد أن يفكر أو يكتب تفكيره ولكن حدث العكس إذ أخذت بعض الفتيات من راكبات من العربة التي تضم بين جنباتها حوالي ستين كرسياً يشاركنهن الغناء وان كن بعيدات عنهن.

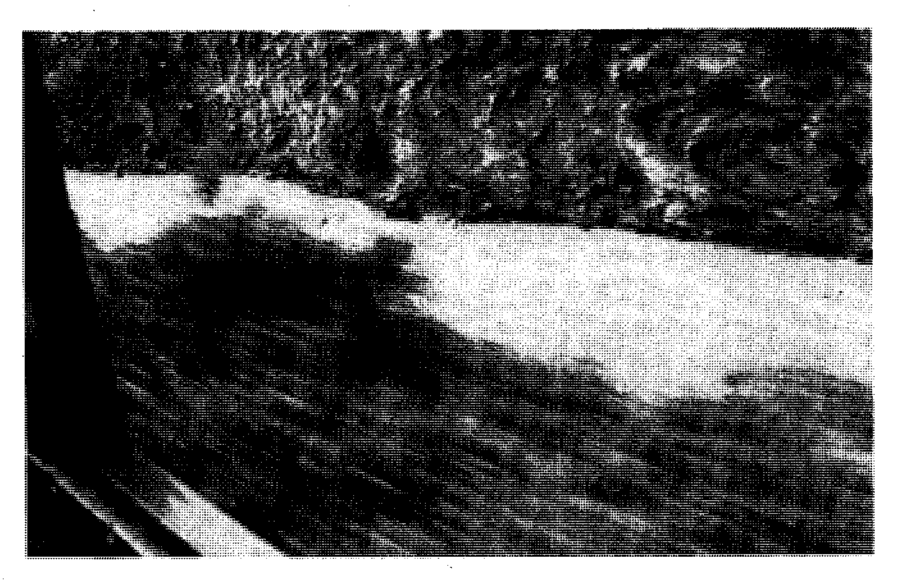

التقط المؤلف هذه الصورة للنهر والقطار يسير في جبال الانديز.

وليس هذا بالممتع عندنا وإنما الممتع أن القوم مؤدبون متواضعون لا يشعرون كما يشعر الأوروبيون وبعض الأمريكيين الشماليين بالتفوق العلمي أو حتى بالتفوق الإقتصادي لذلك تجدهم إن لم يساعدوك لا يؤذونك.

وأذكر أنه عندما انتهى عازف الناي أو (التشريقو) كما يسمونه صفقوا كلهم بحرارة وبراءة ولكن ذلك تم بنظام ومن دون ضوضاء زائدة كالذي يكون في بعض البلدان المتخلفة.

ولم يكن معنا في القطار من يشرح لنا ما كنا نمر به وإنما كان مع بعضهم أوراق بالاسبانية فيها بعض الإيضاحات ولكن المشكل أن عدد الذين يعرفون الانكليزية فيهم قليل.

وقد مررنا ببلدة صغيرة في متسع من الأرض يمر بها نهر صغير أو قل وادٍ يسيل كما رأيناه وهو قادم من قمم الجبال.

وعند هذه البلدة رأينا مزروعات أظهرها نوع من أنواع الذرة والبطاطس والفاصوليا وقليل من القمح في سفوح التلال وأما بيوتها فإن أكثرها من الطين المسقف بالقش على هيئة السنام وأما الحيوانات التي ترى فيها فإنها البقر وأعداد قليلة من الحمير والخنازير.

ومن المناظر التي رأيتها فيها وذكرتني بمناظر الريف في بلادنا في عهد قديم انقضى منظر حوش من لبن الطين فيه بقرات على أرض قد كساها روث البقر.

غير أنه رغم وجود الحيوان هنا فإنه ليس بالكثرة التي ينبغي أن يكون عليها بالنسبة إلى الخضرة التي نراها الآن وإلى كثرة الأعشاب واخضرار

الأرض ولعل مرد ذلك إلى كون المنطقة يأتي عليها شتاء لا تستطيع الماشية فيه أن تجد ما ترعاه أو لا تستطيع أن تتجول في المنطقة لشدة البرد.

بلدة يابامبا :

إتسعت الأماكن المنخفضة بين الجبال ذات القمم العالية التي يتفرق عنها السحاب المنخفض ومررنا ببلدة اسمها (يابامبا) بيوتها مبنية من الطين مسقفة بالآجر أو بالصفيح وبين البيوت يرى المرء شيئاً يرى في الريف المتخلف كثيراً الا وهو أكوام السماد المتخلف من أرواث الدواب وكان هناك مجرى للماء في الشارع الرئيسي بالقرية يجري فيه ماء قليل.

وهذه البلدة متسعة المساحة متفرقة جميع سكانها من الهنود الأمريكيين ذوي الأجسام القصيرة الغليظة وقد ذكرني منظرهم بمنظر أناس آخرين في منطقة جبلية بعيدة كل البعد عن هذه البلاد الأمريكية وهم سكان جبال الهملايا في مملكة نبيال.

فهل الموقع الجبلي الوعر يؤثر في أجسام سكانه على مدى السنين حتى تكون قصيرة غليظة؟ أم أن الأمر كله محض مصادفة جعلت قوماً من ذوي الأصول التي تتميز أجسام أهلها بالغلظ والقصر يسكنون في هذه البلاد الجبلية الوعرة فيكون نسلهم بهذه المثابة؟

وعند هذه القرية وما بعدها كثرت مزارع الذرة في هذه السهول الصغيرة.

ورغم الجمال الطبيعي الموجود في المنطقة فإنني لم ألمس أي جهد من أهلها في أن يجملوها تجميلاً صناعياً أو حتى يسعون إلى

إزالة الأشياء التي تشوه جمالها الطبيعي فلم أر على سبيل المثال أي أثر للزهور المغروسة وإنما هنالك زهور برية صفر.

وأكثر البيوت فيها من طابق واحد حتى الكنيسة الوحيدة التي لاحظت وجودها فيها لم أر لها برجاً إلا أن أعداد الأبقار التي ترعى الأعشاب قد زادت. والبيوت الريفية الممالة السقوف قد كثرت في المزارع.

واعتقد أنه لو كانت لديهم خطط منظمة واعية لتنمية الثروة الحيوانية لأصبحوا من البلاد المصدرة للحوم.

التقط المؤلف هذه الصورة من داخل القطار السياحي.

وقد صار القطار يسير بحذاء نهر كان ضيقاً قليل الماء في أول الأمر ثم أخذ يتسع مجراه وتغزر مياهه كلما طالت صحبتنا له وذلك أننا كنا قد بدأنا الانحدار بعد نهاية من الصعود وكانت هناك مجارٍ للمياه

بعضها من السيول تمد هذا النهر كلما انحدر وانحدر القطار معه كأنما يطلب نهايته.

وصار النهر يجري قرب جبل عال في أكثر الأحيان وكان انحداره شديداً في بعض الأماكن حتى يراه المرء تتدافع مياهه وكأنها تتزاحم على اللحاق بهذا القطار مما يدل على شدة الانحدار في الأرض.

النهر يخترق جبال الانديز على ضفته زهور الربيع البرية.

وقد رأينا طائفة من الغرانيق وهي طيور مائية مهاجرة تتبع فصل الصيف في شمال الأرض وجنوبها فتهاجر لهذا السبب هجرتين في العام إحداهما في فصل الخريف والثانية في الربيع.

وقد ظهر أثر الانخفاض في الجو فأصبح أكثر دفئاً مما جعل الركاب يخففون من ملابسهم الثقيلة لاسيما والشمس قد ارتفعت وأثرت في الجو أيضاً.

في بسكاكوتو :

وقف القطار في الساعة العاشرة إلا عشر دقائق عند ممر ضيق للنهر تنحدر مياهه عنده انحداراً شديداً في أرض صخرية فتسمع لها خريراً بديعاً وهذا المكان في وادٍ ضيق بين جبال خضر تجلل أكتافها أردية جميلة من سحاب أبيض ناصع البياض.

المؤلف يتقلد المصورة على يساره الرائد عبد الله العريفي في بسكاكوتو

ويسمى هذا المكان بسكاكوتو والوقوف فيه من برنامج الرحلة لجمال المكان فأخذ السياح يلتقطون الصور واختلط ركاب العربات المختلفة فلم يستطع أكثرهم أن يعرف مكانه عندما عادوا إلى ركوب القطار الا بعد جهد.

وقد نشأت بينهم صداقة حميمة بحيث أخذ بعضهم يلتقط الصور لبعض، أو يلفت نظره إلى الأماكن الجميلة التي تستحق التصوير.

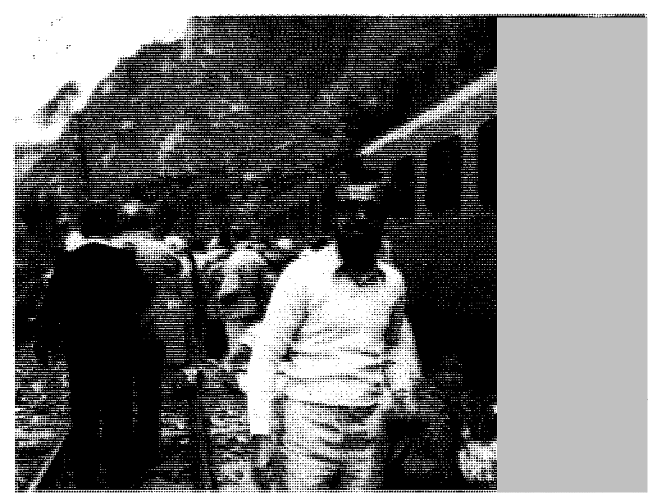

المؤلف يمسك بيد طفل هندي أمريكي يبيع الزهور للسياح في جبال الانديز.

وقد رأينا في المكان طائفة من الهنود سكان المنطقة من النساء والصبيان ذوي الأجسام المنتفخة ومنهن بائعات الزهور وأكواز الذرة الحبشية.

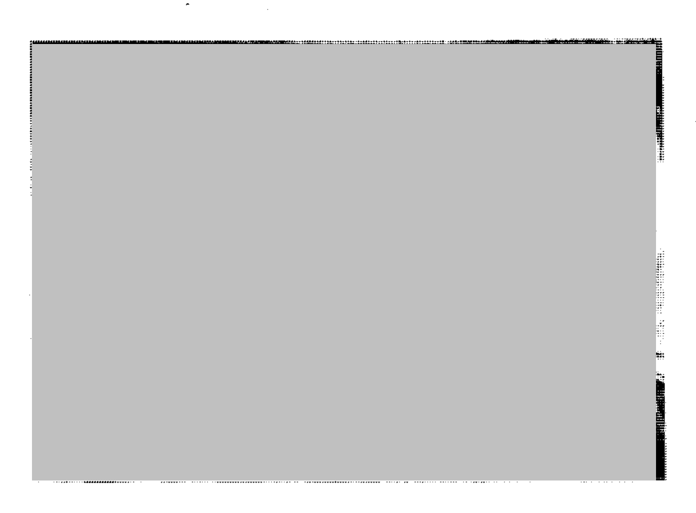

هندية انديزية غليظة تلبس القبعة حافية القدمين تعرض على السياح بضاعتها في اناء في يدها.

ثم سار القطار بعد هذه الوقفة الممتعة يساير النهر في الخضرة بين الأعشاب والزهور البرية الجميلة ومع أناس في داخل القطار نشأت بينهم صداقة حميمة بريئة، وذلك لبساطتهم وسماحة طباعهم ومن الأدلة على ذلك أن بعضهم اشتروا حلوى ولوزاً وأشياء خفيفة من النقل

فأخذوا يوزعون منه على جيرانهم الركاب. وطبيعي أنهم لو كانوا في تزمت الأوروبيين لما فعلوا ذلك. وقد وزع علينا جيراننا في المقاعد شيئاً من ذلك بل كان الواحد منهم لا يأكل كل ما يشتريه حتى يطعمنا منه فقابلنا كرمهم الأمريكي بكرم عربي شرقي واشترينا شيئاً لنا ولهم.

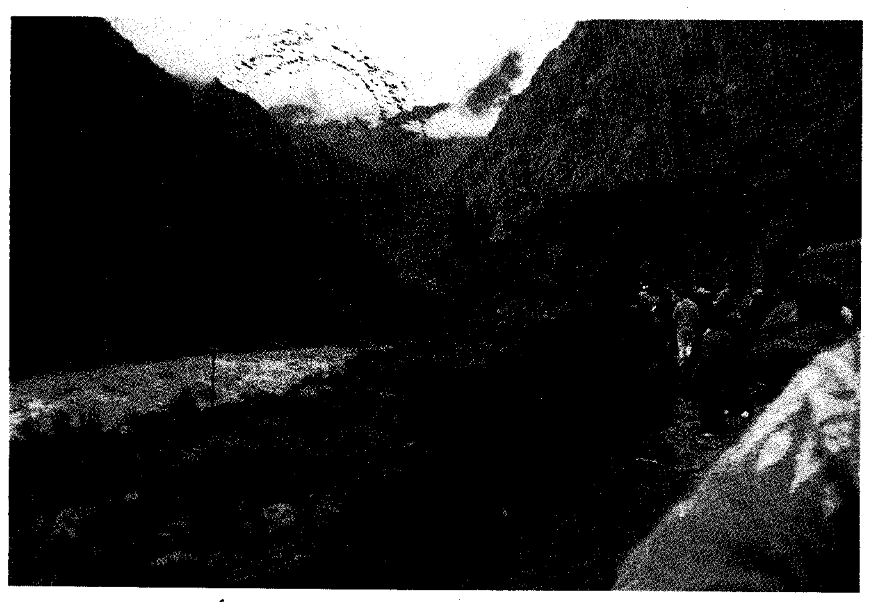

القطار السياحى في احدى الوقفات في جبال الأنديز.

ولم تكن رحلة القطار سفراً شاقاً كما كنا قد توقعنا وإنما صارت رحلة ممتعة إضافة إلى ما كنا نرجو الحصول عليه من المتعة والفائدة من رؤية الآثار التي قصدتها الرحلة في الأصل.

هذا وقد دخل القطار في نفق اخترق جبلاً معترضاً فصفقوا لذلك حتى ارتجت العربة بالتصفيق.

ولما أبدينا لبعضهم إعجابنا بالمكان الذي وقفنا فيه سألنا عما اعجبنا منه بالضبط فقلنا له: إنه «الماء والخضرة والوجه الحسن» كما يقول المثل العربي فأعجبهم ذلك.

المؤلف في جبال الأنديز وفي الصورة بعض السياح.

وفي أعماق هذا الريف قد يرى المرء كوخاً يشبه أكواخ الإفريقيين مع أن المنطقة لاتشبه إفريقية، والسكان لا يشبهون السكان الإفريقيين. على أن السكان في هذه المنطقة من جبال الأنديز قليل.

وبعد السير قليلاً زاد انحدار النهر وكان القطار لا يزال يواكبه وذلك طلباً للأرض السهلة وكثرت أشجار الغابات، وتكاثفت الأعشاب في الأرض وأصبح الجو صحواً مما نشر الدفء في المنطقة فأخذت الفتيات الجميلات يرفعن عقائرهن بالغناء وتجاوب أصداء غنائهن حناجر أخرى من فتيات أخريات بعيدات عن مقاعدهن.

وقد شملت الخضرة حتى قمم الجبال لأن المنطقة منخفضة على وجه العموم بالنسبة إلى بعض المناطق الجبلية المجاورة.

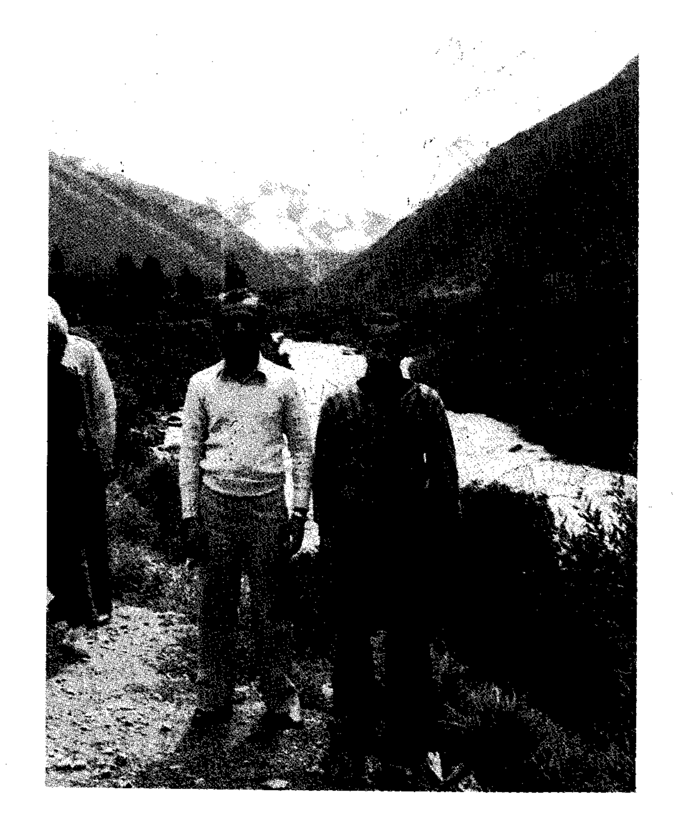

الرائد العريفي على يمينه المؤلف أثناء توقف القطار في جبال الأنديز.

ماتشو بيكتشو العجيبة :

زاد انحدار النهر ومعه القطار حتى وصلنا إلى منطقة منخفضة جداً بل شديدة الانخفاض على هيئة واد ضيق جداً بين جبال مرتفعة شديدة الارتفاع، لا ترى قمم الجبال منه لارتفاعها وعمق هذا الوادي ولوقوف الجبال وقوفاً يكاد يكون عمودياً كاملاً، ولا يكاد هذا الممر يتسع لأكثر من مرور النهر. وتبين ان هذه هي نهاية سير هذا القطار فهذه هي المحطة النهائية له في الطريق إلى آثار بلدة (ماتشو بيكتشو) العجيبة.

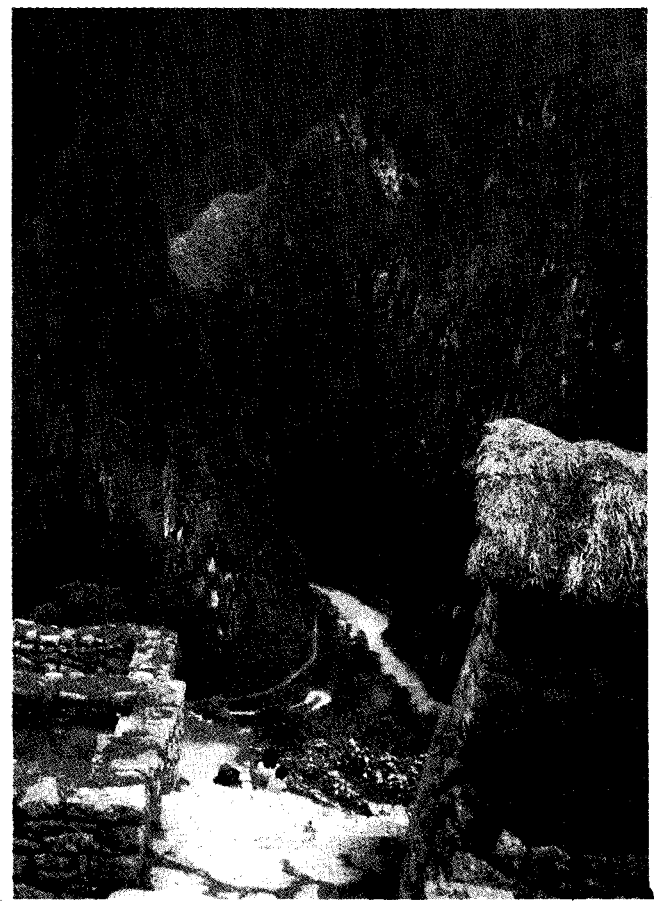

الجبال الواقفة التى تقع عليها مدينـة ماتشو بيكـــتشو فـــي جبال الأنديز.

لذلك وقفنا ننتظر مع باقي ركاب القطار وهم كثر فصاروا يدخلون مع ممر ضيق لا يتسع لأكثر من مرور شخص واحد محافظة على النظام حتى إذا أفضى بهم الممر إلى الساحة الداخلية للمحطة وقفوا لتأتي حافلات صغيرة من التي تحمل ثمانية ركاب فتذهب اثنتين اثنتين صاعدة الجبل ويظل الركاب في هذه الساحة المكشوفة ينتظرون حافلتين أخريتين أن تأتيا.

ولقد هالني منظر الحافلتين وهما تصعدان في هذا الجيل الذي يخيل إليَّ أنه واقف وقوفاً ويتلويان فيه يمنة ويسرة حتى أصبحتا لا يكاد

المرء يرى منهما من شدة الارتفاع الا ما يراه في لعب الأطفال. ولقد تأخر نقل الركاب وكنا مع أواسطهم بسبب عدم كفاية العدد من الحافلات وإنما تذهب الحافلة بحمولتها فتفرغها فيما لا نراه من رأس الجبل ثم تعود.

وقد نزل المطر خفيفاً فأخذ بعض الركاب الذين لا يحملون مظلات واقية يلوذون بمن معهم مظلات، ثم أقلع السحاب وأشرقت الشمس صيفية حارة.

إلى القمـة :

ثم جاء دورنا في ركوب الحافلة الصغيرة فذهبت مع طريق بعضه مسفلت وبعضه معبد لا يتسع إلا لسيارة واحدة في صعود مخيف مع جبل لا ترى رأسه إذا رفعت رأسك وعلى شفا هاوية سحيقة.

ولقد قال أحد المتشائمين من الركاب متسائلاً: ماذا لو حدث خلل في السيارة وهي تسير في هذا الطريق؟ فأجاب آخر: إنه خطر محقق ولكن احتمال الخلل فيها بعيد.

وما كدنا نصل قرب القمة ونحن نصدق حتى أوقفونا عند مطعم هناك وأعلمونا أن الغداء فيه على حساب الشركة كما أعطونا تذكرة للدخول إلى آثار بلدة ماتشو بيكتشو بعد الغداء.

في قمة القمة أو أعجب مدينة في العالم :

لقد عجبنا كيف استطاعت الحافلات الوصول إلى قمة الجبل، ولذلك لا سبيل إلى وجود أية وسيلة للركوب إلى مدينة (ماتشو بيكتشو) التي تقع في قمة القمة فوق مطعمنا. ولا بد من السير على الأقدام.

ودخلنا المدينة الأثرية العجيبة التي هي أعجب مدن العالم على الاطلاق فهي مبنية على قمم جبال لا تكاد تبلغها الطيور وفي أماكن من الحجارة صخرية غير مستوية وعرة يصعب الوصول إليها حتى على من يسير على قدميه، أما الدواب فإنه لا يمكن وصولها إليها بطريق الأولى اللهم إلا إذا كان ذلك على بغال ومن جهات لا نعرفها ولكن ذلك بعيد إذ البلدة واضحة الحدود وقمم الجبال أيضاً مرتفعة واضحة المعالم.

الرائد العريفي في منطقة منحدرة في مدينة ماتشو بكتشو.

ولقد ظلنا فترة نسير على أقدامنا مع مدرجات أو درج واقف في الجبال ولكنه مهيأ للسير فالمرء يصعد إلى المدينة كأنما يصعد إلى سطح واقف. وكل ما في هذه المدينة الخالية الآن من السكان من البيوت والمداخل والمخارج والأزقة ــ إن صح التعبير ــ كله من الحجارة التي قدت في الجبل أو نفرت في الصخر. والواقع أنه ليس

فيها أزقة فضلاً عن أن يكون فيها شوارع وإنما فيها ممرات ودرجات منقورة في الصخر أو مبنية فيه.

طريق بين المنازل في مدينة ماتشو بيكتشو السياحية.

غير أن حجارتها ليست كبيرة كحجارة المعابد في (كيسكو)، ولا هي متقَنة الصنع كاتقان تلك حتى هندسة البناء هي مختلفة قليلاً فأعالي الجدران أقل ميلاً إلى الداخل والكوى — جميع كوة — في الجدران أقل اتساعاً في الأسفل.

مع الرائد العريفي في آثارمدينة ماتشو بيكتشو المتعلقة بالجبال.

ولعل السبب في ذلك أنها كانت مدينة سكنية معتادة وليست بيوتاً للعبادة تبنى وفق معتقدات خاصة ويتأنق بانوها في بنائها لأنها قليلة العدد وهذا لا يمنع من وجود آثار معبد متهدم كغيره. والمدينة كلها صاعدة صعوداً غير متصور في قمة الجبل، ولا بد من أن يجاهد من يذهب من مكان فيها إلى مكان آخر حتى يصل إليه.

ونظراً إلى أنها مهجورة خالية من السكان الآن لأنه لا شيء يحمل الشخص على أن يعيش في قمم الجبال التي لا تصل إليها أوكار الطيور الجارحة.

بقايا مدينة ماتشو بيكتشو دون سقوف

ولذلك كانت أسقف المنازل فيها غير موجودة على حين أن بقية أجزائها كلها قائمة أو موجودة على أي هيئة من الهيئات مما يدل على أن الأسقف قد صنعت من مادة لا تستطيع مقاومة الزمن.

وقد صنعت الحكومة شيئاً يدل على ذلك إذْ وضعوا سقفاً على منزل أو منزلين، بمثابة الأنموذج للأسقف الأصلية فكان من الأخشاب والقش على شكل مائل لا هو بالمسنم الذي يكون للسنام فيه جهتان وإنما له جهة واحدة حتى ينزلق عنها المطر.

بيت مسقوف بين آثار مدينة ماتشو بيكاتشو وهو مسنم السقف.

أما سقوف الأبواب والنوافذ فإنها من الحجارة. على أن بعض الأبنية فيها ذات حجارة كبيرة متقنة تقرب من أن تشبه حجارة المعابد وربما كانت هي نفسها معابد لهم. هكذا نظن لأنه ليس مع السياح دليل يشرح لهم ما يرونه من المدينة.

بقايا قصر محكم البناء في ماتشو بيكتشو. مداخله مسقوفة من الحجارة

وبجانب هذه المدينة مدرجات ضيقة تستعمل للزراعة شبيهة بالمدرجات المعتادة في الجبال إلا في ضيق المساحة.

وظني أن أصعب ما في زراعة هذه المدرجات خاصة وما في المدينة عامة هو الانتقال صعوداً وهبوطاً في هذه الأرض الجبلية الوعرة.

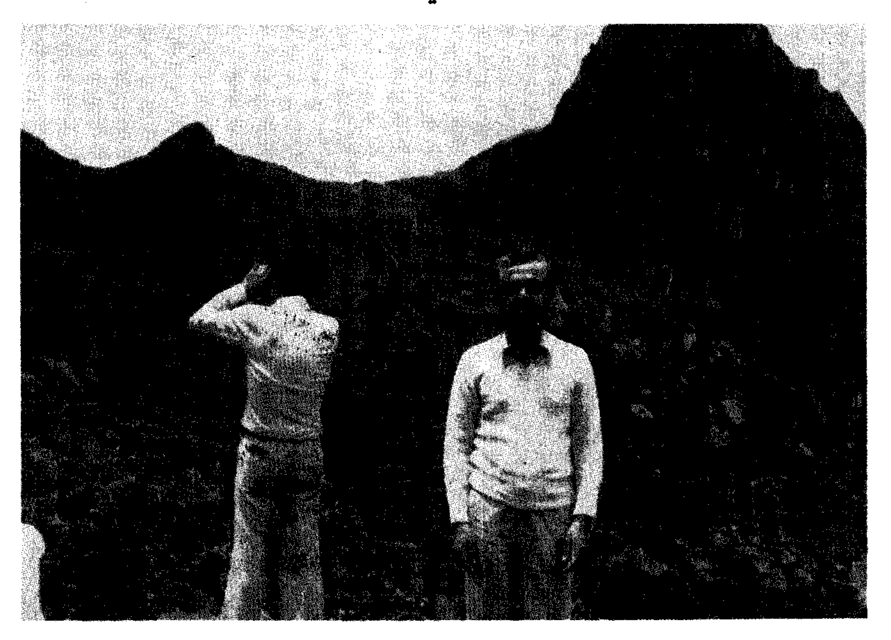

التقط الأخ عبد الله العريفي هذه الصورة للمؤلف وأحد السياح يصور المدرجات الزراعية في مدينة ماتشو بيكتشو.

وقد يتبادر إلى الذهن السؤال عن الماء الذي تحتاجه هذه المدرجات المزروعة من أن يؤتى به؟ والجواب: انه من ماء المطر بدون شك لأن قمم الجبال التي هي أعلى منها واقفة وقوفاً لا يسمح بتجمع الامطار والنهر الذي يجري في قاع الوادي السحيق بعيد وإن كان واقعاً تحت المدينة مباشرة كما أن طريقه صعب جداً، ولا يمكن نقل الماء منه لصعوبة صعود الجبال، حتى أن الشاب يصعب عليه أن يصعد بنفسه.

ولقد عجبت وأنا أتجول في هذه المدينة كيف بنوا بعض البيوت على شفا الهاوية بحيث انه لو سقط منها أحد لتهشم قبل أن يصل إلى القرار حتى ولو كان في صلابة الحجارة من دون شك.

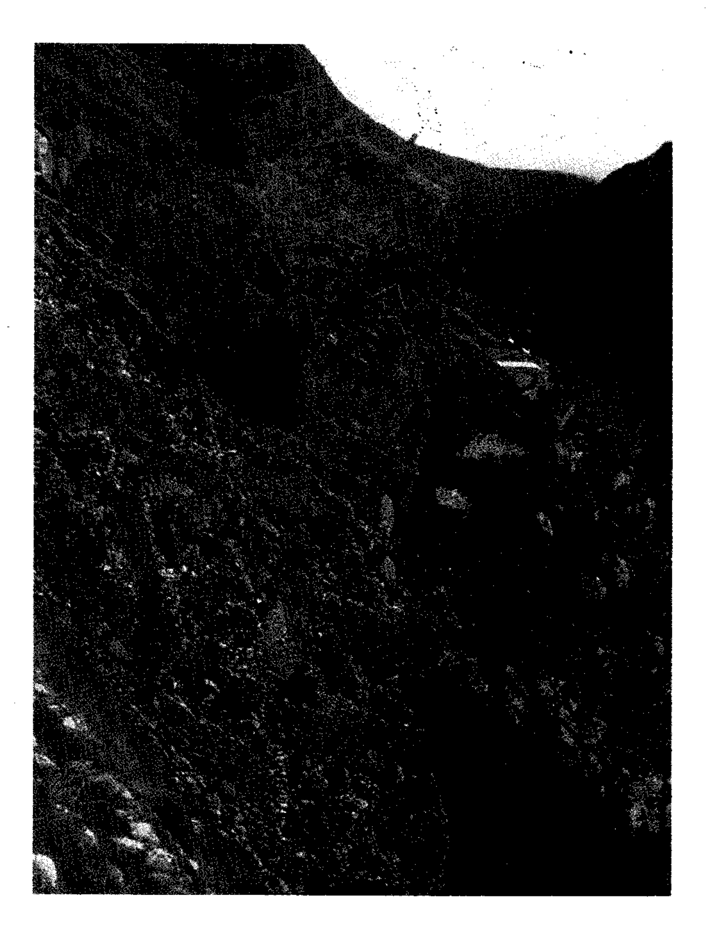

المنحدرات الحادة في مدينة ماتشو بيكتشو السياحية في جبال الأنديز. أو على شفا الهاوية.

وقد دخلت إحدى الغرف فوجدتها أضيق مما تبدو من الخارج وذلك لغلظ جدرانها المبنية من الحجارة ومن الطريف أن الأوتاد المثبتة في جدرانه المعدة لتعليق الأشياء عليها هي من الحجارة حتى الرفوف الصغيرة الموجودة في الحيطان هي من الحجارة أيضاً فكل شيء هنا في المنزل من الحجارة الا السقف.

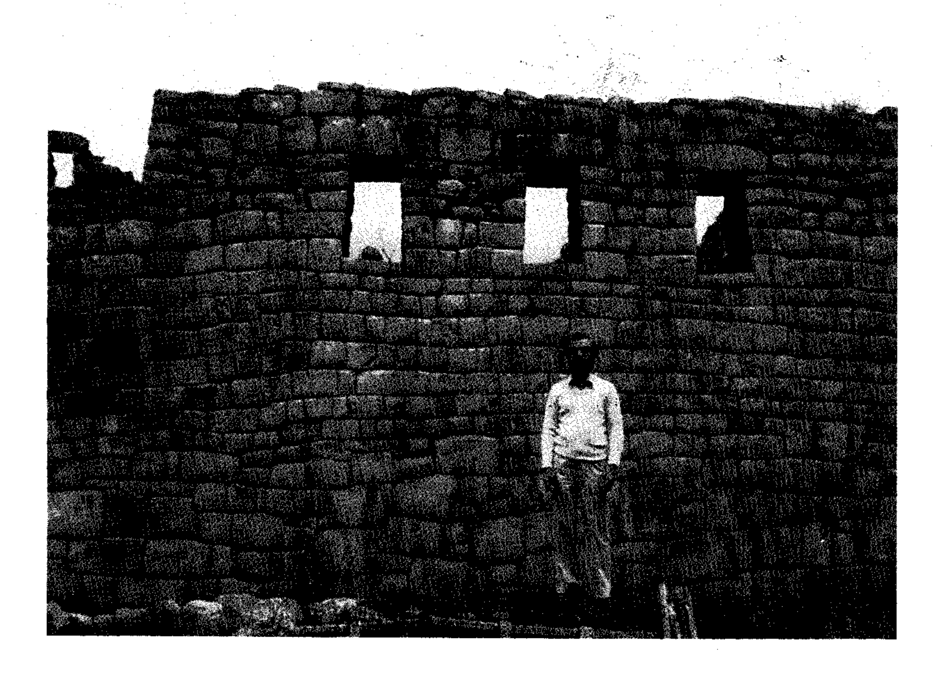

المؤلف داخل أحد الأبنية فى ماتشو بيكتشو.

وكثير من البيوت الشعبية لا تزيد على غرفة واحدة وان كان كل غرفة فيها تبدو منفردة غير مرتبطة ببقية البيت ماعدا بعض البيوت التي ربما كانت لكبار القوم فإنها مؤلفة من أكثر من غرفة، ويرتبط بعضها ببعض ارتباطاً ظاهراً.

هذا وقد انتشر السياح في هذه المدينة الخالية وتفرقوا وبعضهم جلس في الغرف وآخرون استراحوا من عناء الصعود في الدرج الحجري وربما أرادوا أيضاً أن يستريحوا من عناء التفكير في هموم مدنيتهم الحديثة وحياتهم المعقدة فجلسوا حيث لا يعوزهم الجلوس على حجارة نظيفة يستلهمون التاريخ وينسون أو يتناسون الحاضر.

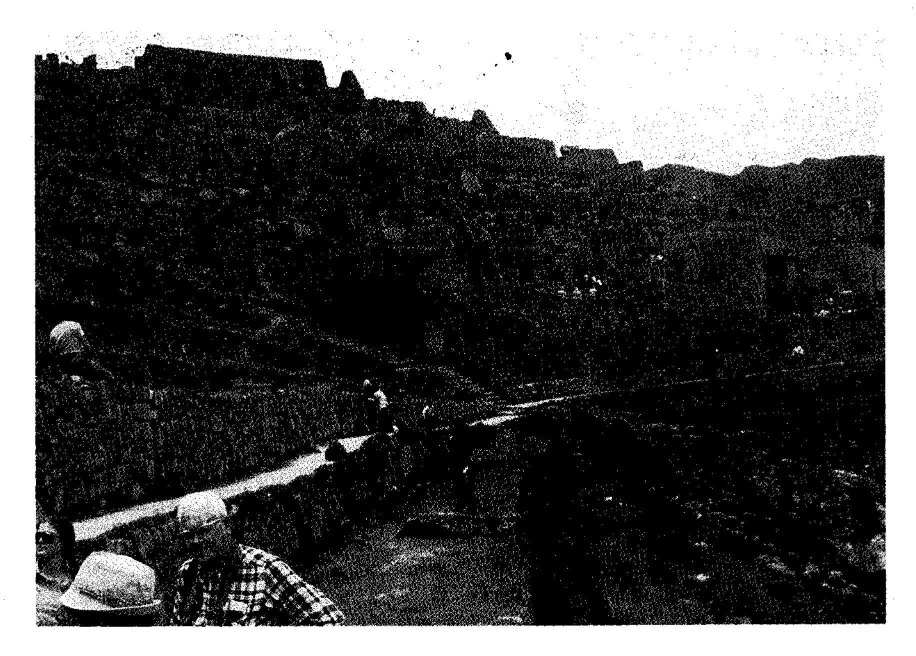

طائفة من السياح في مدرجات ماتشو بيكتشو.

أما أنا فلم أستطع الجلوس كأنما خشيت أن يفوتني الاطلاع على شيء من أمر هذه المدينة الأثرية ولقد كان عجبي يزداد من أمرها وبخاصة أن الذي يصعد على الدرج الحجري لا بد له من السير بحذر لئلا يتدحرج منه وبالتالي يتدهور إلى الحضيض. ولاشك في أن الضعفاء أو كبار السن منهم كانوا يعانون من خوف السقوط.

ومن الواضح أنه لا توجد أماكن منبسطة في هذه المدينة الواقعة على قمة الجبل ولذلك كانوا إذا احتاجوا إلى ممر فوق صخرة كبيرة جداً ثابتة في الجبل ينحتون فيها الدرجات نحتاً.

الماء من المطر :

ويتكرر السؤال عن كيفية الحصول على الماء اللازم للشرب وللاستعمال الضروري من أين يحصلون عليه؟ والجواب أنه من المطر.

والسؤال الآخر كيف يكون ذلك؟ والجواب: أنهم ينقرون حوضاً في الصخر مع طريق منقور في الصخر أيضاً وما تجمع من ماء المطر يستعملونه.

على أن النهر موجود ولكن في الحضيض الأسفل حيث تقف دونه هذه الجبال الصعبة المرتقى التي أقيمت على قمتها المدينة.

وعندما كنت أتنقل بين هذه الأماكن الصعبة في المدينة كنت أسأل نفسي عن أولئك القوم الذين كانوا يسكنونها أكانوا على جانب من الرشاقة وخفة الأجسام حتى يساعدهم ذلك على سهولة التنقل؟ وإذا لم يكونوا كذلك في أول الأمر فهل أثرت سكناهم في قمة الجبل في رشاقة أجسادهم؟ بطبيعة الحال: لا يتيسر الجواب السريع على هذه الأسئلة ولكن الذي نعرفه من أجسام هنود الأنديز الذين رأيناهم في عدة أماكن من جبال بيرو أنهم ذوو أجسام غليظة ربما توصف بأنها أبعد ما تكون عن الرشاقة مما يجعل الصعود إلى قمم الجبال صعباً جداً عليهم اللهم الا إذا كان للعادة أو تكيف الأجسام على مدى أزمان طويلة دخل في ذلك.

ورغم كون هذه المدينة على قمة الجبال المكشوفة فإن كثيراً من السياح قد تخففوا من ملابسهم بسبب التعب من الصعود والنزول.

والواقع أن هذه المدينة منيعة جداً ويصعب على الأعداء الوصول إليها لأنها أولاً خلف سدود مضاعفة منيعة من جبال الأنديز وهي ثانياً في قمة هذا الحصن الجبلي المرتفع فهذه الأسوار المنيعة هي أكثر مناعة من الصحراء بكثير.

معنى اسمها :

قالوا لنا: إن معنى (ماتشو بيكتشو) هو منقار الرئيس، وهذا قد يكون له ما يفسره من موقع المدينة في هذا المكان الجبلي الوعر إذا كانوا يقصدون بالرئيس معنى الصقر أوما يوحيه ذلك.

وهي المدينة السياحية الرئيسية في بيرو وتجد مناظرها الجميلة على الأوراق النقدية. لقد اكتشف السنيور بنمنقهام مدينة ماتشو بيكتشو بالصدفة عندما التقى ببعض الهنود وأخبروه بوجود المدينة وصعد الجبل بمشقة ووجدها غارقة وسط الحشائش، هل الهدف من المدينة مركز ديني أو سياسي فهذا لغز لم يعرف حتى الآن إلاّ أنه يوجد هناك مكان وجدت فيه ١٥٧ جمجمة لامرأة و٢٢ هيكل عظمى للرجال والأطفال ومن المعروف أن هذه المدينة هي آخر معاقل الإنكا سقوطاً في أيدي الأسبان وكانت عمارتها فيما يظن قبل عمارة مدينة (كيسكو).

إن الفن المعماري مدهش حقاً ويجذبك وضع المدينة العام. وأينما ذهبتَ أصبت بالدهشة كيف كانت مدنية الإنكا في الزمن الماضي؟ إن الكلمات تعجز عن وصف صعوبة الإقامة في (ماتشو بيكتشو).

قضينا بين آثار المدينة أوقاتاً طويلة ممتعة ثم عدنا إلى المطعم للاستراحة وشرب بعض الأشربة الخفيفة وقد انطلقت أفواه السياح الذين كانوا في العربات الأخرى من القطار فأخذ بعضهم يتحدث مع بعض وأغلبهم من الأمريكتين كما سبق وفيهم سياح فرنسيون وأما العرب فلا يوجد غيرنا فيهم كما سبق.

وكانت أسعار المطعم معتدلة فالشاي بنصف دولار والكوكاكولا بأربعمائة صول أي حوالي ريالين وقد غامت السماء فجللت أكتاف هذه الجبال وقممها بأردية بيض، فكان الجو مغرياً بالبقاء غير أن المسئولين

في شركة السياحة أخذوا ينبهون الركاب إلى أن موعد مغادرة (ماتشو بيكتشو)قد أزف.

العودة إلى كيسكو :

بدأنا رحلة العودة إلى مدينة كيسكو التي انطلقنا منها هذا الصباح في الساعة الرابعة عصراً فانحدرنا من هذه القمة إلى موقف القطار عند النهر في ذلك القرار السحيق مع الطريق الخطرة العجيبة وقد وجدنا عند محطة الركاب في القطار سوقاً شعبية حافلة أغلب السلع المعروضة فيها من المصنوعات المحلية في هذه المنطقة من جبال الانديز ومنها المنسوجات التي رسموا عليها صورة (اللاما) والملابس الهندية القديمة.

وعندما سار القطار قابلنا قطار آخر كل الذين فيه من الركاب المحليين وكلهم هنود أمريكيون ولقد خيل إليَّ شيء سبق أن خيل إليَّ في الصين وهم أن بعضهم يبدو وكأنني قد رايته، مع أن الأمر في الحقيقة ليس كذلك وإنما شدة تشابه بعضهم ببعض أو قل: كثرة الصفات المشتركة فيما بينهم هي التي سببت ذلك. وربما صح القول

بقايا ثلوج الربيع على جبال الأنديز صورة التقطها المؤلف أثناء سير القطار في العودة الى كيسكو.

بأن ذلك لنقاء عنصرهم الذي حافظوا عليه ووجود أكثرهم في قرى من منطقة صعبة قللت من اختلاطهم بالآخرين.

وقد وصلنا فندقنا في مدينة (كيسكو) بعد الثامنة ليلاً بقليل.

يوم الاربعاء ١٨ /٣ /١٤٠٢هـ ١٣ /١ /١٩٨٢م :

العودة إلى ليما :

أو على الأدق العودة إلى مطار ليما إذْ أننا سوف نعود إلى مطار (ليما) لنسافر منه إلى مدينة كيتو عاصمة الإكوادور من دون أن ندخل مدينة (ليما).

فكان أن صحبنا مندوب الشركة (السنيور فرناندو) إلى المطار في الساعة السابعة ولقد رأيت من كثرة المسافرين الذين أغلبهم من السائحين وفيهم أعداد من (البروانيين) ومن عدم النظام في الترحيل، وبطأ القائمين بالعمل في ذلك ما أعجبني إذْ المفروض أنه مادام أن هناك سياحاً بهذه الكثرة تستفيد منهم البلاد ينبغي أن يرافق ذلك نظام جيد في الترحيل والاستقبال.

ومن ذلك الذي لاحظته اليوم أن ركاب طائرتنا اختلطوا بركاب طائرة أخرى عند بوابة الخروج ولم يكن هناك مسئولون يميزون بين الركاب ويرشدون ركاب كل طائرة إلى البوابة الصحيحة حتى اختلط الركاب ولم يمتز بعضهم عن بعض الا عند الدخول في الطائرة.

وقد قامت الطائرة في موعدها المقرر للطيران أصلاً وهو الثامنة والنصف قالوا: إن الطيران سيستغرق خمساً وخمسين دقيقة. وليس فيها درجة أولى.

وهي من طراز بوينج ٧٣٧ طلاؤها أبيض وفيه خط برتقالي طويل

وذيلها ذو لونين أرجواني وأصفر مما جعلها غريبة المنظر على أعيننا.

وعندما نهضت عن الأرض كان المنظر منظر مزارع ضيقة ترعى في داخلها الأبقار وقد وزعوا الصحف بالاسبانية فقط مع أن في الركاب سياحاً لا يعرفونها.

ومن الأشياء الملفتة للنظر في هذا الرحلة والتي قبلها عند المجيء إلى كيسكو أنهم لم يفتشوا الحقائب اليدوية طلباً للأمن لا باليد ولا بآلة كهربائية وهذا أمر أصبح نادراً الآن في رحلات الطيران.

وبعد قليل قال الطيار بالاسبانية ثم بالانكليزية: الآن ترون على يساركم مدينة (ندويلا) فرأيناها في واد بين أكوام من جبال صعبة المرتقى.

ثم مررنا بعد ذلك بجبال قد جللت قممها الثلوج في هذا الفصل الصيفي في هذه البلاد التي تقع على حدود المنطقة المعتدلة ولكن ذلك كان بسبب الارتفاع الشديد. وليس بسبب العوامل الجوية المحلية وقلت في نفسي: إذا كانت هذه هي الحال في هذه الجبال في الصيف كيف تكون في الشتاء؟

ومن الأشياء الظاهرة في هذه الجبال من منطقة الانديز قلة الوديان المستقيمة أو الأماكن المتسعة المستطيلة وإنما أكثرها تبدو كالأكوام التي يكاد بعضها يلتصق ببعض. وبعضها يظهر للناظر كأنما هي جبال قد ركبت جبالاً وهذا له وجه من الصحة لأنها منطقة جبلية عالية واسعة ذات قمم مختلفة إلا أنها هنا خضراء.

وقد قدموا في الطائرة إفطاراً نزراً ومع ذلك هو ملطخ بالحرام فهو قطعتان من الشطائر (الساندويتش) إحداهما فيها خنزير والأخرى جبن

وكوب صغير من عصير الفاكهة.

وقبل الوصول إلى (ليما) عاد منظر الجبال الجرداء هو الظاهر إلى جانب بعض المنازل الكئيبة المنظر.

وعند الوصول إلى المطار بادرنا إلى مكتب شركة الإكوادور وأنهينا إجراءات السفر ثم ودعنا بيرو.

إلى بلاد الاكوادور
وسط العالم

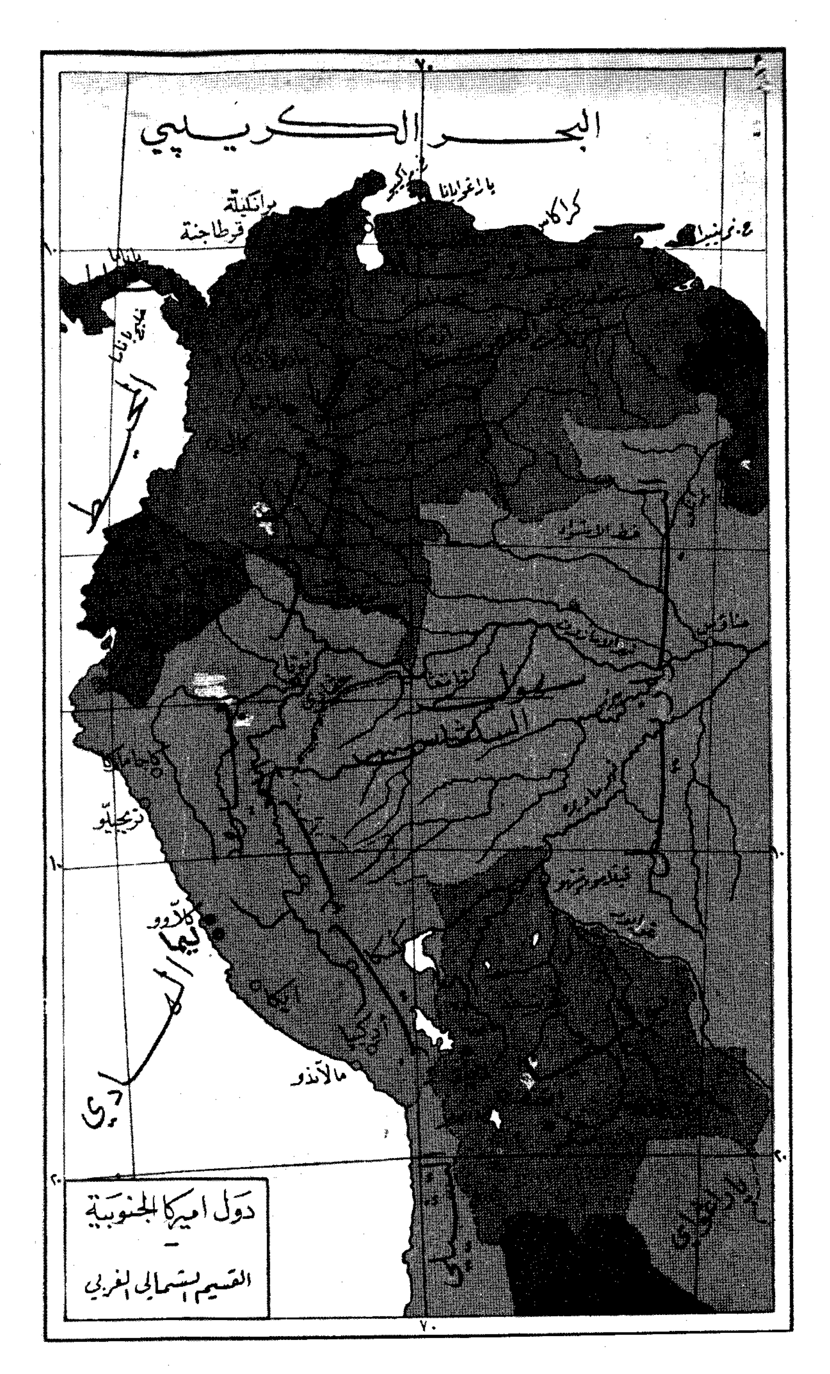

موقع الاءكوادور من قارة أمريكا الجنوبية

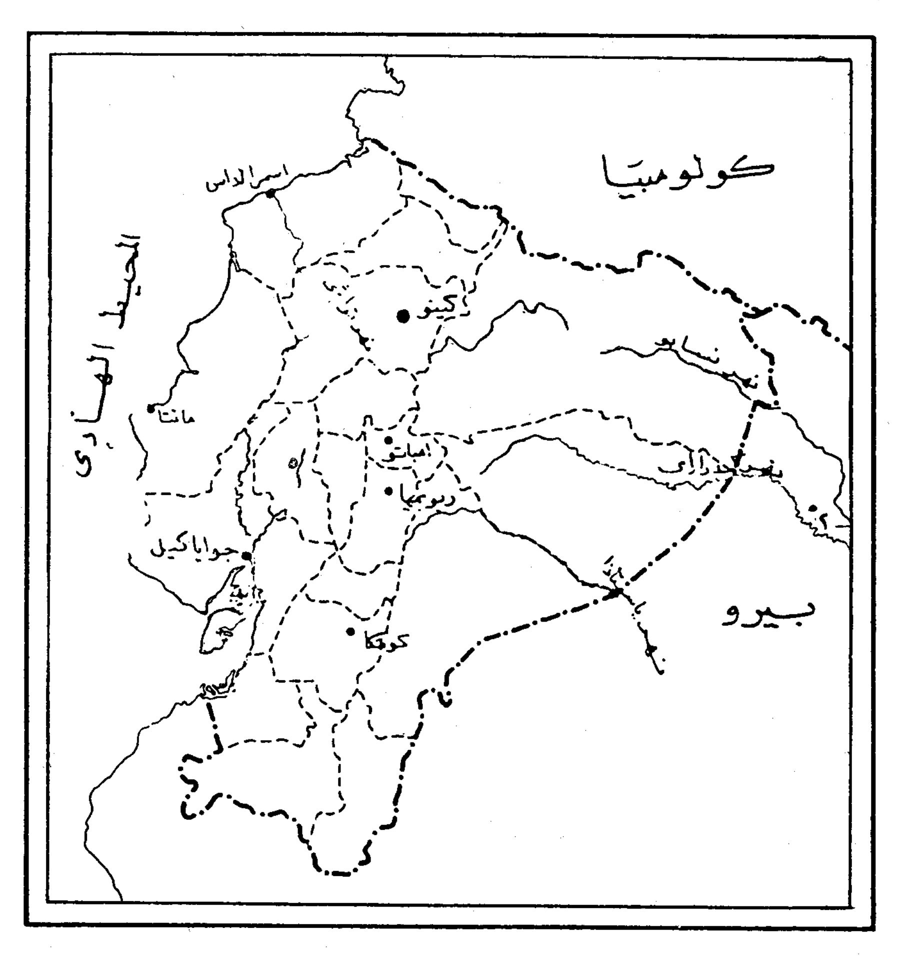

خريطة الاءكوادور

قامت طائرة شركة طيران الاكوادور من مطار ليما في الساعة الواحدة والنصف ظهراً. وقد رأيناهم كتبوا اسم الشركة (اكوتوريانا) ومعنى اكواتور هو معنى (اكوادور) الذي هو (خط الاستواء) فهو بالانكليزية (اكواتر) وبالاسبانية (اكوادور). وكل ذلك مأخوذ من موقع الاكوادو الذي هو تحت خط الاستواء مباشرة. ورغم كون الاسم (اكوتوريانا) غريباً بالنظر إلى ان الاسم الرسمي للبلاد هو الاكوادور فإن طلاء طائرتهم هو غريب أيضاً إذ هو أبيض فيه دوائر كثيرة جداً باللون الأخضر القاتم. ورأس ذيل الطائرة فيه خطوط زرقاء وحمراء وخضراء وكل ذلك في منظر غير بهيج بالنسبة لنا. ولم أتذكر من الأذواق التي تستسيغ هذه الألوان إلا أذواق الافريقيين الذين يسكنون قريباً من خط الاستواء، فهل الجامع بين المنطقتين في استساغة هذه الألوان هو وقوعهما قرب خط الأستواء؟ لا أدري.

والطائرة من طراز بوينج ٧٠٧ وكان إعلانهم كالمعتاد بالاسبانية ثم بانكليزية غير واضحة وجميع العاملين في خدمة الركاب في الطائرة من المضيفات الجميلات.

أما الركاب فكلهم بن ذوي اللون اللاتيني أي لون الجنوب الأوروبي المتغير قليلاً ومنهم قلة من الأوروبيين ورأيت في الركاب لأول مرة منذ أن غادرت البرازيل رجلاً أسود.

وقد أعلنت المضيفة أن مدة الطيران من (ليما) إلى مدينة قوياكيل ستكون ساعة ونصفا. نهضت الطائرة فصارت تطير فوق المحيط الهاديء مباشرة لأن المطار قريب من الساحل. وما أن استوت في الجو

حتى شرعت المضيفات بتقديم الغداء وهو جيد مثل بقية الخدمة إلا أنهم لم يشذوا عن القاعدة في طائرات أمريكا الجنوبية عامة وهي وضع شيء من لحم الخنزير في أية وجبة يقدمونها في طائراتهم وقد وضعوا منه كالعادة في السلطة فكان هذا سهل الاجتناب إذ تركنا السلطة كلها.

وعندما عادت الطائرة إلى التحليق فوق الساحل كانت على ارتفاع شاهق وكان تحتها سحاب مرتكم جعلنا لا نتمكن من رؤية شيء مما على الأرض.

في مطار قوياكيل :

اخترقت الطائرة السحاب الكثيف متدنية قليلاً إلى الأرض فشاهدنا نهراً كبيراً وسط غابات كثيفة الخضرة حولها بحيرات واسعة متعددة. وتنطلق من النهر شعب أو قنوات.

ثم اتسعت البحيرات ومناقع المياه فأصبحت كالمستنقعات الكبيرة وقد رأينا على شواطيء بعضها قوارب وسفناً صغيرة.

وبدت مدينة (قوياكيل) في الاكوادور على إحدى البحيرات فيها قسم تجاري ذو أبنية عالية مطلة على الماء. وأغلب أحيائها في اليابسة وهي ذات بيوت معتادة إلا أنها تكثر فيها الجسور التي أقيمت على المياه التي تفصل بين أقسام اليابسة ولكن هذه أيضاً واقعة في وسط مستنقعات أو بحيرات مما جعل منظرها عجيباً غريباً حقاً وقد تظافرت مياه المحيط مع مياه الأنهار والبحيرات والأمطار الغزيرة على جعلها كذلك.

وذكرتني بعض الأشياء التي رأيتها فيها بما أزال عجبي من كثرة مياهها وهي انها واقعة في المنطقة الاستوائية من ذلك أن التربة فيها

حمراء كالتربة في المناطق الاءستوائية الإفريقية وأشجار من أشجار النارجيل التي لا تزدهر إلا في المناطق الاءستوائية وما قرب منها.

وقبل النزول في المطار أعلنت المضيفة أن درجة الحرارة هي (٣٢) مئوية. وقد استغرق الطيران إلى هذه المدينة من ليما ساعة ونصفاً.

وفي الساعة الرابعة إلا ربعاً غادرت الطائرة هذه المدينة العجيبة، وقد نزل منها أكثر الركاب ولم يبق فيها إلا قليل قاصدة (كيتو) عاصمة الاءكوادور، وأنا أشعر بالأسف الشديد على عدم زيارة هذه المدينة العجيبة والبقاء فيها ولو وقتاً قصيراً.

وقد أصبحت الطائرة تطير هذه المرة فوق أرض القارة الأمريكية لأن مدينة (كيتو) في قمة من قمم جبال الأنديز إلا أننا لا نستطيع رؤية الأرض التي تحتنا بسبب السحاب والضباب وقد ولت وجهها شطر الشرق المائل قليلاً إلى الشمال.

في مطار كيتو :

عندما تدنت الطائرة أسفل من السحاب المطبق كانت تحلق فوق مدينة (كيتو) عاصمة الاءكوادور وقد بدت المدينة من هذا الارتفاع المنخفض تحيط بها تلال خضر قد غشتها قطع من الغيوم البيض وجبالها وتلالها في شكلها استطالة وليست كجبال الأنديز التي رأيناها في بيرو مكومة تكويماً.

وتبدو الزراعة في سفوح هذه الجبال الاءكوادورية وكذلك على قمم التلال. بل حتى البيوت توجد على قمم بعض التلال غير الشديدة الارتفاع، والمدينة ذات أبنية عالية وإن لم تكن بالغة العلو ولكنها منسقة وذات شوارع مستقيمة.

وأغلب أبنية المدينة تبدو بيضاء الطلاء فهي في هذا الأمر تقرب من أن تكون مثل مدينة تونس وقد أعلن مكبر الطائرة أن درجة الحرارة تبلغ فيها الآن ثمان عشرة درجة مئوية ونحن بعد الظهر وهذه درجة حرارة منخفضة لا تعرف إلا في البلاد الباردة في مثل هذا الوقت من النهار.

ثم نزلت الطائرة في مطار ضيق جداً حتى خيل إليَّ أنها لن تجد لها ممراً إليه لأن الأبنية السكنية تحاصر المطار الذي هو نفسه أشبه ما يكون بالشارع ذي الاتجاهين لأن فيه مدرجين اثنين بينهما جزيرة عريضة لا غير.

والبيوت التي تحاصره واقعة في تلال غير مرتفعة مما زاد في صعوبة النزول فيه. أما أبنية المطار فإنها صغيرة ولكنها نظيفة جداً وإجراءات الدخول فيها سهلة جداً فلم يفتشوا أمتعتي بعد أن رأوا الجواز السياسي الذي أحمله وأما بقية الركاب فإنني رأيتهم يفتشونهم تفتيشاً خفيفاً انتهوا منه بسرعة.

ولقد صرفنا من المطار دولارات بعملتهم الرسمية فكان سعر الدولار ثلاثة وثلاثين سَكْراً ونصفاً. وقد اتفقنا مع سائق سيارة أجرة أن يوصلنا إلى فندق مشهور في المدينة بمائة سكر.

والسُّكر هو اسم عملتهم على اسم قائد قاتل الاسبانيين مع سيمون بوليفر إبان الحروب التي رافقت استقلال عدد من أقطار أمريكا الجنوبية ومنها الإكوادور التي استقلت في عام ١٨٢٢م.

في مدينة كيتو :

تركت سيارة الأجرة المطار ذاهبة إلى المدينة مع شارع واسع جيد اخترق تفقين في الأرض. وقد زرعوا الجانبين الذين يحفان بهما

بحشائش نضرة ولقد عجبت من سعة هذا الشارع وضيق المطار.

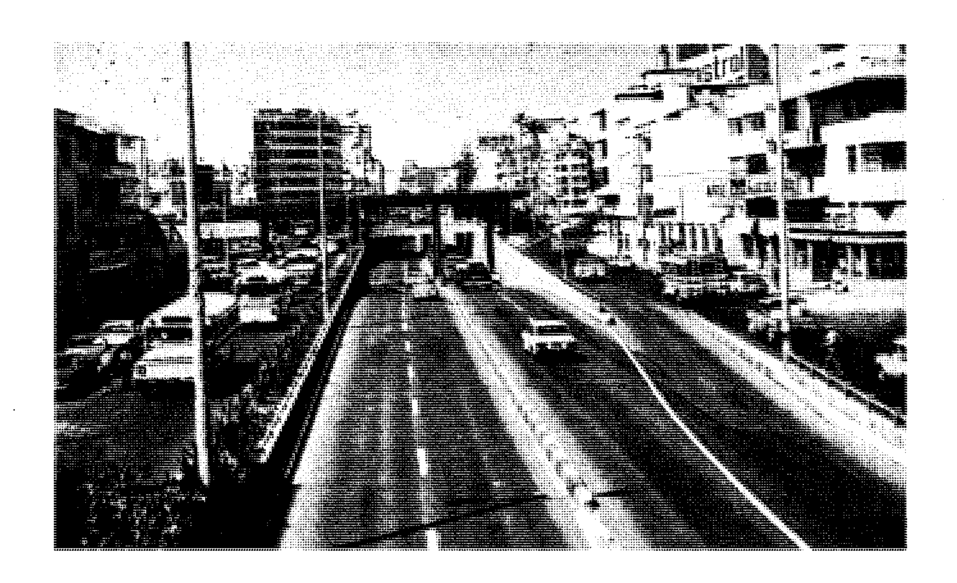

الشارع الرئيسي في كيتو بين المطار والمدينة.

والمناظر التي ترى من هذا الشارع جميلة إذْ هناك منازل قريبة بهيجة الطلاء وتلال بعيدة خضر عالية.

وبدت البلدة لأول وهلة نظيفة تشبه منظر بلدة أوروبية ويزيد من الشعور بهذا الشبه أن الجو فيها بارد في النهار وإن لم يكن برداً مؤلماً. وهي بهذا أجمل من (ليما) عاصمة بيرو بمراحل، وفيها شبه من بوينس آيرس عاصمة الأرجنتين لولا أنها صغيرة جداً بالمقارنة بينهما.

ومن أظهر العناصر في السكان التي يميزها النظر بسهولة منظر النساء الهنديات الأمريكيات والمختلطات أي اللاتي ينحدرن من عنصر هندي أسباني أو منظر اللائي هي من عنصر أسباني خالص.

ومعظم البيوت فيها مسنمة السقوف مما يدل على أن المدينة مطيرة.

قصد السائق فندقاً اسمه فندق العدالة (ماجستيكا) ولكننا لم نجد فيه مكاناً خالياً فنزلنا في فندق آخر اسمه (إنكا امبريال هوتيل) بغرف فسيحة جيدة مماثلة لغرف الفنادق في الدرجة الأولى وأجرته خمسة وعشرون دولاراً فقط.

وكما كان اسمه مستوحى من ماضي الإنكا فإن هندسة مدخله مماثلة لهندسة المباني عند الإنكا فهو مائل إلى الداخل قليلاً. وكذلك في الأبواب والنوافذ الداخلية.

وفي قاعة الاستقبال تمثال قبيح ذكرني بتماثيل قبيحة رأيتها في نيبال لمن يزعمون أنها آلهتهم فهل لهم علاقة بأهل نيبال على بعد الدار وناي البلاد؟ إن التشابه الجسدي ما بين الهنود الأمريكيين أهل جبال الأنديز هؤلاء وبين أهل نيبال الذين يشبهون الجنس المغولي قد يوحي بذلك. وإن كان الموضوع يحتاج إلى بحث علمي دقيق.

تمشية بعد الغروب :

غربت الشمس بسرعة بالنسبة إلى ما كنا قد أعتدنا عليه في الأرجنتين وتشيلي اللتين هما ذاهبتان جهة الجنوب والفصل فيهما صيف. أما في هذه المدينة فإن الجو فيها استوائي وليس فيه نهار يقصر أو ليل طويل طيلة العام بل أبد الدهر إذْ تغرب الشمس فيه عادة في السادسة.

ومع ذلك كان الجو بارداً بعد الغروب حتى انهم أوقدوا ناراً بحطب جزل في قاعة الاستقبال فيه وكان المرء يرى لها منظراً جميلاً لأنه يحس بالحاجة إلى الاصطلاء حتى وهو في داخل الفندق.

وذلك بسبب الارتفاع الشديد لموقع هذه المدينة وإلا لكانت حارة لا يطفيء من حرارة الجو فيها إلا برودة نزول المطر.

وقد كنا سألنا أهل الفندق عن الأمن بالنسبة لمن يسير في هذه المدينة على قدميه في الليل فاجابوا أنه لا خوف مطلقاً من ذلك ومع ذلك لم يكن عدد المشاة كثيراً في الشوارع وحتى الحوانيت التي رأيناها كان أكثرها مغلقاً.

أما المطاعم فإنها مفتوحة ولكنها ليست كثيرة، وهي رخيصة نظيفة، وقد أسرع بنا البرد ومحبة النوم بالعودة إلى الفندق.

ولما عدنا إليه وجدنا الخادمة قد قامت بترتيب الغرف مرة ثانية وأشعلت مدفأة كهربائية في الغرفة كانت ضرورية إذْ لا يستطيع المرء حتى مع وجود الأغطية الثقيلة أن ينام فيها بدون تدفئة.

يوم الخميس ١٩ /٣ /١٤٠٢هـ ١٤ /١ /١٩٨٢م

صباح وسط العالم :

صحوت مبكراً اليوم فأخذت أقرأ نشرة سياحية صغيرة في الفندق لم أفطن لها أمس فإذا بها تقول في العنوان (الاكوادور وسط العالم) بالنسبة إلى الشمال والجنوب وهذه من العبارات المشوقة وإلا فإن الطقس في عاصمته هذه هو طقس البلاد الباردة لاسيما في هذه الساعة المبكرة من النهار.

وقد أزحت ستارة النافذة فانفرجت عن منظر أناس في الشوارع يذهبون مبكرين إلى أعمالهم وهم مختلطون مابين رجال ونساء مما يدل على أن النساء في هذه البلاد يعملن كما يعمل الرجال وكل الذين يسيرون في الشوارع قد تقبضت أجسادهم من البرد وأكثرهم وضع يديه في جيبي ثوبه مما يدل على البرد في الصباح وأنه يخف في النهار وإلا للبسوا لذلك ملابس ثقيلة كافية كما يفعل سكان البلدان الباردة.

وقد رأيت نسبة كبيرة من السيارات اليابانية في الشوارع مما يدل على أن هذه البلاد تستطيع الحصول على قسط من العملات الصعبة التي تشتري بها هذه السيارات وهذا أمر مفهوم لأن (الاءكوادور) من الدول المصدرة للنفط وهي عضو في منظمة (الأوبك) وإن كان إنتاجها ليس بالكثير.

ورفعت بصري إلى الجهات البعيدة من المدينة فرأيت التلال الخضر التي يجللها السحاب.

ثم نزلت إلى مطعم الفندق للاءفطار فكان الصباح الجميل ابتسامة على وجوه نظيفة كانت تخدم هناك ثم الافطار الجيد الذي شمل الخبز والعسل والحليب الطازج والشاي كله بخمس وثلاثين سكراً: أي أقل قليلاً من أربعة ريالات.

وقد سألنا الذين في الإدارة هذا الصباح من نكون؟ فأجبناهم: أننا من العرب، فقالوا: إنهم لا يذكرون أنهم قد نزل عندهم عربي قبلنا.

ثم خرجنا في مسيرة على الأقدام أنا ورفيقي الرائد عبدالله بن عبدالرحمن العريفي لاستجلاء معالم هذه المدينة في النهار وللحجز للسفر فكان الذي دهشنا له كثرة رؤية الهنود الأمريكيين الخلص مثل الذين رأيناهم في جبال الأنديز إلا أن هؤلاء يبدون أكثر سمرة وربما كان ذلك من أثر سكناهم تحت خط الاستواء فهم يشبهون هنود غيانا أكثر مما يشبهون هنود بيرو وكذلك كان الهنود المختلطون بالأسبانيين أو باللاتينيين يوجدون بكثرة وأما الأسبانيون الخلص والأوربيون الخلص فإن عددهم غير كثير وقد أثر فيهم الجو الاستوائي حتى غدوا أشبه بسكان الشرق الأوسط. وبذلك خالفوا سكان الأرجنتين وتشيلي.

ومن المظاهر التي تدل على تأثير الجو الاستوائي على الهنديات أنني رأيتهن يحملن أطفالهن خلف ظهورهن كما تفعل الاءفريقيات.

وأما السود فلم أر فيهم منهم أحداً شأنهم في ذلك شأن أكثر المستعمرات الاسبانية في أمريكا الجنوبية فهل هذا نتيجة لذلك؟ لأن السود يوجدون بكثرة في المستعمرات البريطانية السابقة مثل غيانا وترينداد والمستعمرة البرتغالية السابقة (البرازيل).

أما الهنود فإنهم لا يخفون على الرجل الدقيق الملاحظة حتى على البعد فعدا عن تقاطيع وجوههم هناك طريقة المشي عندهم فالرجال يهتزون ويتمايلون قليلاً يمنة ويسرة عند المشي ونساؤهم إذا احتذين الأحذية النسائية العصرية رأيتهن كأنما يمشين على شوك.

وينبغي أن يتذكر القاريء الكريم أنه لا يوجد عندهم ولا عند أهل تشيلي وبيرو هنود آسيويون أي من أهل القارة الهندية.

والشوارع جيدة التعبيد إلا أن بعض الأرصفة بالحجارة السوداء الرثة ولا سيما في قلب المدينة.

والشمس في المدينة ليست حارة رغم كونها استوائية وذلك من تأثير الارتفاع الشديد أيضاً. وقد تجولنا في الحي الحديث من المدينة وهو ذو عمارات عالية والحوانيت فيه متفرقة في البيوت والأبنية وليست متلاصقة. ولكنها عامرة بالسلع.

والمقاهي ــ جمع مقهاة ــ كثيرة جداً فيه ولكنها صغيرة، والسيارات كثيرة بالنسبة إلى حجم المدينة ومن الغريب أن إشارات المرور الضوئية ليست كثيرة وإنما الغالب في قلب المدينة هذا أن يسير رجال المرور السيارات بالاشارات من أيديهم.

العربية في كيتو :

قد يكون هذا العنوان غريباً لأن العرب ليس لهم وجود يذكر في كيتو

فكيف يكون للغة العربية وجود فيها؟

والجواب ـــ على غرابة العنوان ـــ أن عدة كلمات من اللغة العربية موجودة فيها ووجودها فيها قديم قدم دخول اللغة الاسبانية إلى تلك البلاد الذي مضى عليه أكثر من خمسمائة سنة.

لن أقدم قائمة بالكلمات العربية التي دخلت إلى الاسبانية فليس هذا موضعها وإنما موضعها كتب الدراسات اللغوية، وإنما أقدم شاهداً صغيراً حصل لي ضحى هذا اليوم جرياً على عادتي في تسجيل المشاهدات والانطباعات.

عدت إلى الفندق قبل الظهر فوجدت فسحة لقليل من المشي قبل الغداء فوجدت حانوتاً يبيع فاكهة وعصيراً ومأكولات خفيفة، فرأيت عنده عصيراً سألته عن اسمه؟ فقال: انه (تاماراندو) فعرفت أصله العربي وفصله أيضاً وانه التمر الهندي واشتريت وشربت لابين له أنني لست طالب معرفة فقط، وإنما أنا مشتر أيضاً.

ولما سألته عن قيمته أخذ بيده كأساً وهو يقول (الكوبو) ويشير إليه بأن هذا هو اسمه فقلت له: لا تتعب نفسك إنه الكوب ـــ مفرد الأكواب ـــ التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ثم كتب القيمة ١٥ (سكراً) أي أقل قليلاً من نصف دولار.

ثم أخذ يريني الليمون وهو يقول: (اليمون اليمون)، الكوبو ويردد ذلك فقلت له: وهذا أيضاً من عندنا.

ولما رأى حرصي على معرفة الأشياء التي عنده أخذ يشير إلى ما يشبه الخيار إلا أنه أصفر أملس وهو يقول (تاكسو). وإلى فاكهة أخرى تشبه الجوافا إلا أنها متجعدة الجلدة وقال: (الماراكوبا) ـــ فقلت في

نفسي: أما هذه (فاكذب، ولا تخاف) كما يقول المثل العامي إذّ من أين لي أن أعرف أن ما قلته صدق أو كذب؟.

إلا أن الذي عرفته أن كثيراً من الفاكهة والخضراوات التي عنده رخيصة جداً فملؤ الكف من التمر الهندي الطازج أي الثمار غير المعصورة بسكرين اثنين : ثنية : سُكْر عملتهم الوطنية وكان هذا البائع يتكلم بود وبقلب مفتوح فالغالب على الجميع هنا لين المعاملة وحسن الخلق مع الغريب من دون تكلف كما هو الحال عليه في أكثر أمريكا الجنوبية التي مررت بها ونوهت بذلك في موضعه، ولقد تأكدت من ذلك من حسن معاملة الذين في الفندق من موظفين وخدم وغيرهم.

سياحة في منطقة كيتو :

هذه السياحة بدأت في الواحدة ظهراً وشملت مدينة كيتو العاصمة وبعض القرى التابعة لها، مما سنقصه عليك بعد إيراد كلمة عن كيتو.

يبلغ سكان مدينة كيتو مليوناً من البشر ويبلغ سكان الاكوادور مجتمعين ثمانية ملايين ونصفاً.

واسمها (كيتو) مأخوذ من اسم قبيلة هندية أمريكية كانت تسمى كيتو وكانت تقطن هذه المنطقة قبل أن يتغلب عليها شعب (الانكا) الذين هم أرقى حضارة من غيرهم في تلك المنطقة بل إنهم أسسوا إمبراطورية عظيمة امتدت إلى مسافات شاسعة في القارة الأمريكية وشملت بلاداً تنتمي الآن إلى عدة دول فيها، ومنها بيرو التي رأينا آثار حضارتهم فيها.

وترتفع (كيتو) الفين وثمانمائة متر عن مستوى سطح البحر وهو ارتفاع شاهق بدل طقسها الاستوائي بطقس بارد يشبه ليله ليل البلاد

الباردة على طول الدهر ولا يهدأ برده في أي وقت من أوقات السنة.

وليس فيها فصول أربعة مميزة كما يكون في البلدان البعيدة عن خط الاستواء، وإنما فيها فصلان فقط: فصل ممطر وفصل غير ممطر.

ولكنها إن عدمت تعاقب الفصول في السنة فإنها لم تعدم تعاقبها في اليوم إذْ فيها كما قال لنا الدليل وغيره أربعة فصول في اليوم الواحد ففي الصباح: ربيع وفي وسط النهار صيف، وفي آخر النهار: خريف. وفي الليل شتاء.

وتبلغ مساحة الاءكوادور مائتين وثلاثة وثمانين الفا وخمسمائة كيلو متر مربع. وتنقسم إلى منطقتين متميزتين الأولى هي المنطقة الساحلية والمدينة الرئيسية فيها هي قويا كيل وهي التي مررنا بها ولكننا لم ندخلها.

وهذه المنطقة غنية بفاكهة الموز وتصدر الاءكوادور قسما من موزها إلى العالم عن طريق هذه المنطقة ومن ذلك ما تصدره إلى بلادنا.

المنطقة الثانية (السيرا) ومعناها سلسلة الجبال التي هي جزء من جبال الانديز الشهيرة ومن جنوبها تنبع أصول من أصول نهر الأمازون العظيم.

وبهذه المناسبة أشير إلى أنني رأيت نهر الأمازون من عاصمة ولاية الامازون في البرازيل التي هي مدينة (ماناوس) وكتبت عن ذلك كتيباً أسميته «**على ضفاف الأمازون**» يمكنك الرجوع إليه إن شئت.

وهناك في الاءكوادور التي هي بلاد استوائية حارة الموقع في السواحل سلاسل من جبال الانديز تتوج قممها الثلوج.

ويبلغ عدد سكان الاكوادور ثمانية ملايين ونصفاً ويتألفون — عنصرياً — من ٤٠٪ هنود أمريكيين وهم سكان جبال الأنديز الأصلاء، و٤٠٪ من المختلطين ما بين هنود الأنديز والأوروبيين و٢٠٪ من الأوروبيين الجنوبيين من أسبان وغيرهم. ممن يسمون باللاتينيين — نسبة إلى لغاتهم التي ترجع في أصولها إلى اللغة اللاتينية وليست نسبة لهم إلى العنصر اللاتيني.

وسكانها كلهم مسيحيون إلا قلة لا تكاد تذكر و٨٠٪ منهم من الكاثوليكين و٢٠٪ بروتستانتيين والكنائس فيها كثيرة جداً وبخاصة في الحي الأسباني القديم المسمى بالمدينة الاستعمارية وهي التسمية التي تطلق على المدن التي بناها المستعمرون الأسبان وأصبحت أحياء في عواصم الدول في الوقت الحاضر مثل (بنما) و(بوغوتا) و(ليما).

هذا ومدينة كيتو مستطيلة جداً من الجنوب إلى الشمال، وضيقة من الغرب إلى الشرق.

وكان رفاق الجولة كلهم من أصل أوروبي أو أمريكي جنوبي ففيهم سويسريون وألمان ورجل من استراليا وليس فيهم عربي غيري. أما زميلي في الرحلة الرائد العريفي فلم يشترك في هذه المرة.

بداية الجولة :

بدأ الدليل بزيارة المدينة القديمة (كوليان ستي) أو المدينة الاستعمارية والمراد بها المدينة التي بنيت في عهد الاستعمار الأسباني ويبدو الطابع العربي الأندلسي واضحاً على الأبنية والأبواب فيها ولا يحتاج زائرها إلى تذكر ذلك لأن نوافذ البيوت المنتشرة في كل أجزاء هذه المدينة القديمة أو على الأدق الحي القديم في كيتو تطالعك

أينما ذهبت فيها. وقد نوه الدليل بذلك وكرر إيضاحه وقال: إنها عربية الطراز وإن الأسبانيين جاؤا بطراز البناء العربي هذا معهم من أسبانيا.

وقال: إنها أسست قبل أربعمائة سنة، وقد يحدد تاريخ بنائها بأنه في عام ١٥٤٥م. وعندما خرجنا من المدينة القديمة إلى حي ملاصق لها قال الدليل وهو أسباني الأصل لطيف المعشر، ذكي جيد الشرح، اسمه ارنستو: انظروا الآن لقد اختلف طراز البيوت والأبواب والنوافذ عندما خرجنا من هذا الحي إلى حي آخر.

ثم أشار إلى حديقة كبيرة قال: اسمها (بارك الميرا) وقال: إن لدينا عدة حدائق كبيرة وصغيرة في كيتو وهذه إحداها.

وصدق في ذلك فقد أرانا عدداً منها حديقة أكيدو وهي منسقة تنسيقاً جيداً وواسعة ثم مررنا بمستشفى حكومي فأشار إليه وقال: إن أهم الأمراض الموجودة هنا مرض القلب لأن المنطقة مرتفعة جداً.

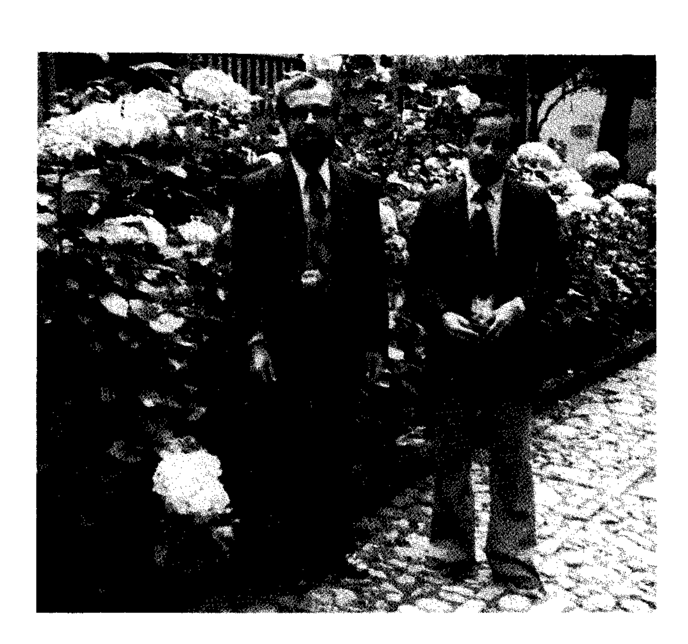

في إحدى الحدائق
مع الرائد العريفي.

ثم قال وهو يضع يده على قلبه: إننا سنذهب إلى ارتفاع ثلاثة آلاف وثلثمائة متر في هذه الجولة. فهل لديك متاعب في القلب؟ فقلت: لا، ويظهر انه يعاني شيئاً في قلبه أو أنه يخشى شيئاً من ذلك لأنني رأيته يكثر من وضع يده على قلبه كلما ذكر الارتفاع. رغم أنه قال لي: إن سنه خمسون سنة.

ولما سألته عن أثر أمراض القلب في الناس وهل تسبب لهم موتاً مبكراً؟ أجاب: إن طابع الحياة في كيتو هو الهدؤ وعدم الإسراع في الحركة ولذلك يقل أثر مرض القلب ثم قال: انظر حتى السائقين تراهم لا يسرعون. وهذا صحيح.

المدينة البيضاء :

انطلق هذا الدليل اللطيف الذي هو في الوقت نفسه قائد السيارة وهي حافلة صغيرة ألمانية الصنع يتجول في أحياء من أحياء (كيتو) حديثة جميلة منسقة يكثر فيها اللون الأبيض. وقال: إن اللون الأبيض ليس هو اللون الرسمي للمدينة كلها المفروض فيها فرضاً ولكن المدينة الاستعمارية منازلها بيضاء الطلاء وهذا أمر رسمي من البلدية لابد أن تكون كذلك.

وبينما كان يقول ذلك تكلم أحد الرفاق السويسريين وهو يشير إلى الجبل الأخضر الذي يقع في غرب المدينة وقال: إنها كسويسرا بلاد جبلية خضراء.

وقلنا: إن وجود (سويسرا) تحت خط الاستواء أمر عجيب.

حي إلبتان :

صعد الدليل بسيارته تلالاً جبلية شرقي المدينة وقال: هذا حيّ

الأغنياء وليس فيه من الهنود ـــ يريد بهم الهنود الأمريكيين ـــ الا أسرة واحدة.

والواقع أن جميع الذين رأيناهم في هذا الحي من كبار وصغار هم من ذوي الأصل الأوروبي الذين يسمون البيض.

والحي مؤلف من دارات (فيلات) جميلة غارقة في الجنات وهو حديث الاءنشاء، بدأ البناء فيه كما يقول الدليل قبل عشر سنوات. وهو مبنى من آجر أحمر وأسمنت بسقوف مسنمة بسبب كثرة المطر في المدينة وعلى ذكر المطر فقد رفع الدليل رأسه إلى السماء وهو ينظر إلى قطع من السحاب الخفيف: وقال: بعد قليل سيتكاثف السحاب وينزل المطر لأن هذا موسمه وأرجو ألا يؤثر ذلك على جولتنا.

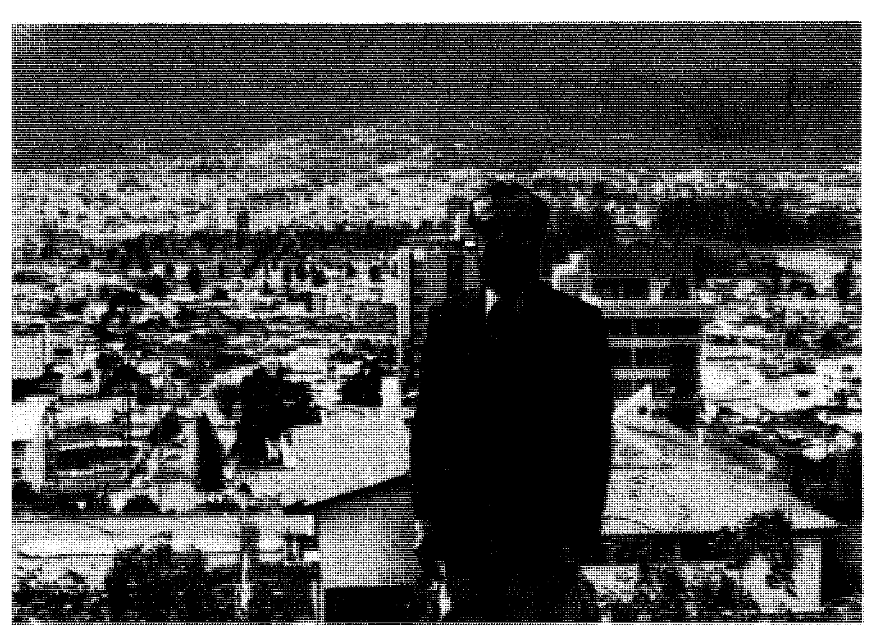

التقط الدليل السياحي هذه الصورة للمؤلف ولمدينة كيتو في حي البتان في المرتفع الشرقي الذى يطل على عاصمة الاكوادور.

ثم وقف في أعلى بقعة من هذا الحي وقال: إننا الآن على أرتفاع ثلاثة آلاف متر عن سطح البحر وإن هذه النقطة هي أكثر علوّا من وسط (كيتو) بمائتي متر.

ومن الأشياء الملفتة للنظر انهم رصفوا شوارعه التي تنحدر انحداراً شديداً بالحجارة الصغيرة مع أن الاءكوادور دولة مصدرة للنفط ولديها زفت كثير ولكنهم فعلوا ذلك تفادياً للانزلاق أما سائر الشوارع في هذا الحي فإنها بالاءزفلت.

ومن الأشياء التي ذكرتني ببلادنا في هذا الحي الغالي الجميل أنهم غرسوا نخيل الزينة فيه وهو لا يبعد في النظر كثيراً عن نخيل التمر عندنا.

ثم انحدر الدليل من هذا الحي المرتفع إلى شارع في وسط المدينة متسع بديع وقال: هذا كان في الأصل شارعاً للجيش ثم أصبح للجيش وغيره، وإلى الغرب من هذا الشارع حديقة حشائش واسعة جداً إلا أنها غير منسقة وإنما هي على هيئة أرض مكشوفة قد فرشت ببسط خضر من الحشائش والأعشاب.

صورة لجزء في مدينة كيتو التقطها المؤلف أثناء سير السيارة السياحية.

ولمناسبة كثرة ما مر بنا من السيارات في الشوارع قال الدليل: إننا نستورد أعداداً كبيرة من السيارات رغم أن المكوس عليها عالية جداً بحيث تتراوح ما بين ١٠٠٪ وخمسمائة في المائة حسب الحاجة إلى نوع السيارة والمزايا التي فيها.

وقال: مثال ذلك السيارة الالمانية من طراز (مرسيدس) تباع بثلثمائة ألف دولار. ولم أصدق ذلك لأنه يعني ان ثمنها هو مليون ريال سعودي وكرر علي مقدار الثمن وسألته أهي سيارة الشحن؟ فأجاب: بل سيارة الركوب وقال: إن هذه الحافلة الصغيرة التي نركبها وهي تحمل عشرة ركاب ثمنها خمسة وأربعون ألف دولار.

وقال: السبب في غلاء المكس (الجمرك) على السيارات أن الحكومة لا تريد المزيد منها في هذا البلد لأنها كثرت ولدينا جميع أنواع السيارات كما ترون من الروسية إلى الأمريكية ولكن الناس يشترونها وبخاصة بعد أن أصبحنا نملك عملة أجنبية لأننا صرنا من الدول المصدرة للنفط.

ومما يجدر ذكره أن الاكوادور كانت إلى ما قبل عشر سنوات تصنف في قائمة الدول الفقيرة في أمريكا الجنوبية، ولكن اكتشاف النفط فيها وانتاجه غير ذلك الوضع في الوقت الحاضر، وفي هذه الاثناء كان السحاب قد تكاثف بسرعة وبدأ المطر بالنزول كما كان الدليل قد توقع ذلك قبل فترة قصيرة.

ثم أشار إلى جهة اليسار من هذا الشارع وقال: هنا (الأستاد) الرياضي وهم هنا كسائر أقطار أمريكا الجنوبية لهم اهتمام عظيم بالرياضة ولديهم فريق قوي بل عالمي لكرة القدم.

ومن المشاهد الطريفة مشهد تمثال للثيران ــ جمع ثور ــ في

وسط ميدان صغير فهل استوحوا ذلك من رياضة مصارعة الثيران عن الأسبانيين؟ أم انهم أخذوا ذلك من الأهمية الاقتصادية للثيران والبقر في هذا البلد الذي كان يعتمد على الإنتاج الزراعي والحيواني؟ وعندما مررنا بالمطار أكد الدليل ما ذكرته من خطورة النزول فيه فقال: إن هذا المطار ضيق وخطر وإنه يجري الآن إعداد مطار آخر يبعد عن المدينة خمسة وعشرين ميلاً.

ثم أخذت الحافلة تسير مع طريق يسمى (بان أمريكا رود) لأنه يشق الأمريكتين فهو يذهب من هنا في الاءكوادور إلى كولومبيا التي تقع حدودها مع الاءكوادور على بعد ٢٦٠ كيلاً من كيتو وقال الدليل: إنه ليس بين الاءكوادور وكولومبيا مشكلة وإنما المشكلة مع بيرو وهي نزاع على الحدود بين البلدين أدى إلى وقوع مناوشات حربية بينهما.

واستمر السير في شرقي المدينة في مكان مرتفع نوعاً ما نرى منه الجبل الغربي أخضر مشرفاً في حضنه البيوت البيض البهيجة.

قرية كوتا كولياو :

ثم وصلنا إلى قرية هندية قديمة كانت منفصلة عن مدينة (كيتو) العاصمة غير أن ضواحي العاصمة اتصلت بها اسمها (كوتا كولياو).

وهي ذات منازل متطامنة سقوفها من الآجر الأسود غير البهيج. وشوارعها متربة ذات تراب أبيض وأرصفة ترابية كذلك وعلى البساتين التي تخالط المنازل فيها حوائط قصيرة مبنية من الطين ذكرتني بحوائط البساتين القديمة في بلادنا وبأخرى مشابهة لها في أفغانستان وشمال باكستان.

ولا يجمع بينها وبين المناظر في العاصمة جامع اللهم الا منظر

الأهالي من الهنود الأمريكيين القصيري القوام بالنسبة إلى الأوروبيين وأهم ما في أجسامهم من القصر موجود في القامة وفي الرقبة، ولم نقف عند هذه القرية الهندية بل تجاوزتها السيارة إلى ريف جيد في سهل غير واسع يتصل بجبل أخضر.

وفي الطريق الجيد الذي نسير فيه حشائش وشجيرات طبيعية على جانبيه وزهور برية غريبة.

في ريف كيتو في الاكوادور

وقد أخبرنا الدليل أن هذا الطريق وسع بعد أن بدأت البلاد تصدر النفط ثم أشار إلى جهة اليسار وقال: هنا المدرسة العليا العسكرية.

والمدرسة العليا العسكرية لها أهمية كبيرة في هذه البلاد الأمريكية الجنوبية لأن معظم الحكام فيها في القديم والحديث هم من العسكريين.

وغير بعيد من هذه المدرسة العسكرية العليا أقاموا مدرسة ثانوية للشرطة، وكلاهما في ريف منعزل بعيد عن الأحياء السكنية ثم اخترقنا:

قريـة بوماس :

وهي قرية هندية أمريكية إلا أن البيوت التي على الشارع العام لا طابع لها بنيت من لبن الأسمنت وبعضها من الأسمنت نفسه وقد حاولوا مثلنا أن يجعلوا تلك البيوت حديثة فصارت شيئاً يقرب من ذلك ولكنه خال من الطابع المميز. إلا أن الذي لم يستطيعوا أن يجعلوه حديثاً هو الأشكال الهندية الأمريكية الظاهرة فيها.

ثم وصلنا إلى سفوح جبال خضر خضرة طبيعية وليس فيها زراعة إلا شيء قليل ومن المزروعات التي رأيناها فيها العنب.

ومن الأشياء الملفتة للنظر منظر بعض النسوة من الهنديات وعليهن كلهن قبعات عريضة الجوانب لفت الدليل أنظارنا إليها وقال: إن الغذاء الرئيسي لأهل هذا الريف هو الذرة، وذكرني منظر قبعات هؤلاء الهنديات بمنظر قبعات بعض النساء الريفيات في منطقة عسير في بلادنا.

الريف الاءكوادوري :

أوغلنا في الريف فبدت بعض الجبال قليلة الخضرة بل قلت خضرة الأرض كلها وبدا حيوان يكثر في الأرض غير الاستوائية مع اننا تحت خط الأستواء وهو الحمار الذي لا فرق بينه وبين الحمار الذي نعرفه عندنا إلا قصر القامة واخضرار اللون قليلاً وربما بلادة زائدة في الذهن قد اكتسبها من أشعة الشمس الخاصة التي تخترق خط الاستواء.

غير أن الشيء الذي شد انتباهي إلى بعدي عن بلادي هو منظر

السحب المنخفضة التي يتعلق بها الرباب الأبيض وتتدلى أرديته على الروابي في هذه المنطقة المرتفعة ونحن متجهون إلى جهته وقد مررنا بقرية هندية صغيرة أسمها (كيوي) ذات منازل متفرقة وجمع سكانها من الهنود.

وبعد أن سرنا حوالي أربعة كيلات منها وصلنا إلى منطقة السحاب المنخفض ودخلنا وسطه وهو يبدو كالدخان أو الضباب لأننا قد ارتفعنا في الجبال فأظلم الطريق ولكن ذلك لم يمنع السائق من الإسراع بسيارته لأنه يعرف المكان معرفة جيدة.

بولولاوا أو شفا الهاوية :

أوقف السائق سيارته على طريق في الجبل مسدود بسياج قوي وقال: هنا لننزل. وكان النزول صعباً لأن المطر كان ينزل رذاذاً وكانت الريح تهب شديدة باردة ولم نكن قد أخذنا للأمر أهبته من الملابس الثقيلة.

وفوق ذلك كان الجو مظلماً، وقال الدليل وهو يشير إلى هاوية أمامنا أسفل من جانب الجبل الواقف: إن حظكم ليس جيداً لأنكم لا تستطيعون أن تروا من هذا المنظر الخلاب إلا الضباب ان الجبل من هنا واقف تماماً وقوف الحائط أربعمائة متر، وبعدها هاوية أخرى والمنظر بديع إذا كان الجو صحواً. ولم نستطع أن نرى غير السحاب الذي يبدو مظلماً كالدخان الخفيف، وربما لا يصح القول إنه منظر السحاب، لأننا كنا واقفين وسط السحاب الذي كان يأتي من الأماكن المنخفضة بل كنا فوق مستوى أكثر السحاب.

وقد رأيت ما يشبه ذلك من بلادنا في جبل السودة قرب مدينة (أبها) قاعدة عسير فالمرء إذا وقف فوق الجبل المذكور قرب غروب

الشمس، أو قبله بقليل رأى منظر الأماكن المنخفضة بحيث يتفرق السحاب من يمينه وشماله.

ولم نستطع التقاط صورة للمكان بسبب الظلمة الشديدة التي هي ليست ظلمة كظلمة الليل يمكن أن يمزقها نور المصورة القوي ولكنها ظلمة سحاب وضباب كثيف كالدخان لا ينفع فيها ذلك النور.

وقال الدليل وهو يعزينا في فوات هذا المنظر البديع: إن المنظر في شهر يوليو جميل حقاً فالسماء هنا تكون زرقاء صافية تماماً.

والتفت بعضنا إلى بعض وهو يقول: اين نحن من شهر يوليو؟ واسم هذا المكان (بولو لاوا).

ثم انطلق إلى مكان مرتفع آخر وقد ذكرني منظر فتى هندي راكب على حمار بمنظر الريف في أكثر أنحاء بلداننا العربية.

ووصلنا متسعاً في الجبال أخضر ندياً فيه مزارع للذرة.

وتقع بلدة (كالاكالي) في جزء منه وهي بلدة هندية جميع سكانها من الهنود الأمريكيين وقد لبسوا فوق ثيابهم أردية للوقاية من البرد كما يفعل سكان جبال الهملايا في نيبال وفي كثير في شمال الهند وباكستان وفيها نوع من الكلاب عجيب بعضها قصير الأرجل وبعضها رقط أي: منقطة بسواد ونحيلة القوام ربما كانت من كلاب الصيد.

أما البيوت في هذه البلدة فإنها من طابق واحد ذات سقوف مسنمة وقليل جداً منها مبني من الطين وشارعها الرئيسي مرصوف بحجارة صغيرة.

خط الاءستواء :

اسم «الاءكوادور» معناه الاستوائية نسبة إلى خط الاستواء كما قدمت لأنها واقعة تحت خط الاءستواء.

وليس المراد من ذلك أنها واقعة داخل المنطقة الاءستوائية فحسب لأن المنطقة الاءستوائية واسعة وإنما المراد أنها واقعة تحت النقطة التي يمر بها خط الإستواء بالضبط ولذلك كانوا قد بنوا نصباً في ساحة أمام هذه القرية قالوا: إنها النقطة التي يمر بها خط الاءستواء بالضبط.

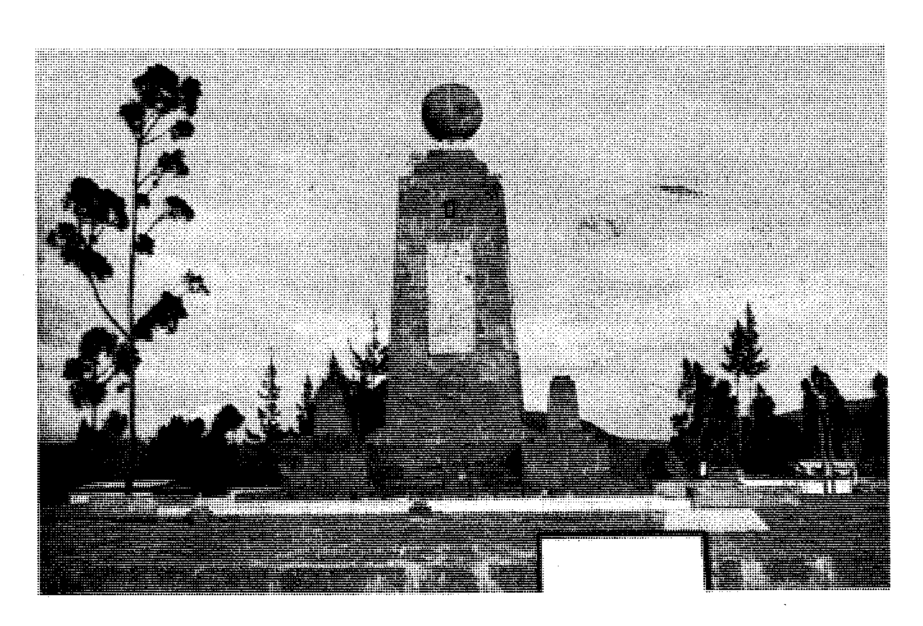

النصب القديم لخط الاستواء مع المنطقة.

وقد بني في القرن الثامن عشر تحيط به حديقة صغيرة غير بعيد منه قمة جبلية خضراء، تشرف على البلدة وقد جللها السحاب بأردية بيض فضفاضة. وقال لنا الدليل وما كان بحاجة إلى أن يقول: إن البرد هنا شديد، ذلك بأن المنطقة مرتفعة والريح باردة ندية ولم نقف طويلاً عند هذا النصب الاستوائي لأن الدليل قال: إن هذا قديم وإننا الآن نقيم

نصباً آخر أكبر منه وأوضح.

فسرنا قليلاً وقابلتنا هندية ريفية راكبة على حمار عليه (برميلان) صغيران متعادلان قال الدليل: ان في هذين الوعائين زيتاً.

ثم عدلنا جهة اليمين حيث وقفنا عند نصب كبير هو بناء شاهق قد أكملوه ولكنهم لا يزالون يعملون في المنطقة المحيطة به يجملونها وينسقونها.

رجل في شمال الأرض ورجل في جنوبها :

وضعوا خطاً ينطلق من حذاء الوسط لهذا النصب الاءستوائي وكتبوا على جهته الشمالية (شمالاً) وعلى الجنوبية (جنوباً) لا يفصل بينهما إلا ذلك الخط الذي لا يزيد عرضه على الشبر ومع أن خط الاستواء نفسه خط وهمي فإن المسافة التي يقع فيها وهي منتصف الأرض بين الشمال والجنوب هي حقيقية.

ولذلك وقفت فوق هذا الخط واضعاً إحدى رجلي جنوبه والأخرى شماله قائلاً لرفاق الرحلة: انظروا لقد وضعت إحدى رجلي في شمال الأرض والأخرى في جنوبها فضحكوا كما ضحك رفاق لي من قبل صنعت لهم مثل ذلك عندما وقفت على علامة خط الاستواء التي أقامها الاءنكليز في يوغندا وسط إفريقية.

وكان الضباب قد خف واغتنمنا فرصة طلوع الشمس من الغمام، فالتقطنا صوراً تذكارية لهذه الزيارة لوسط الأرض الذي يفصل بين الشمال والجنوب.

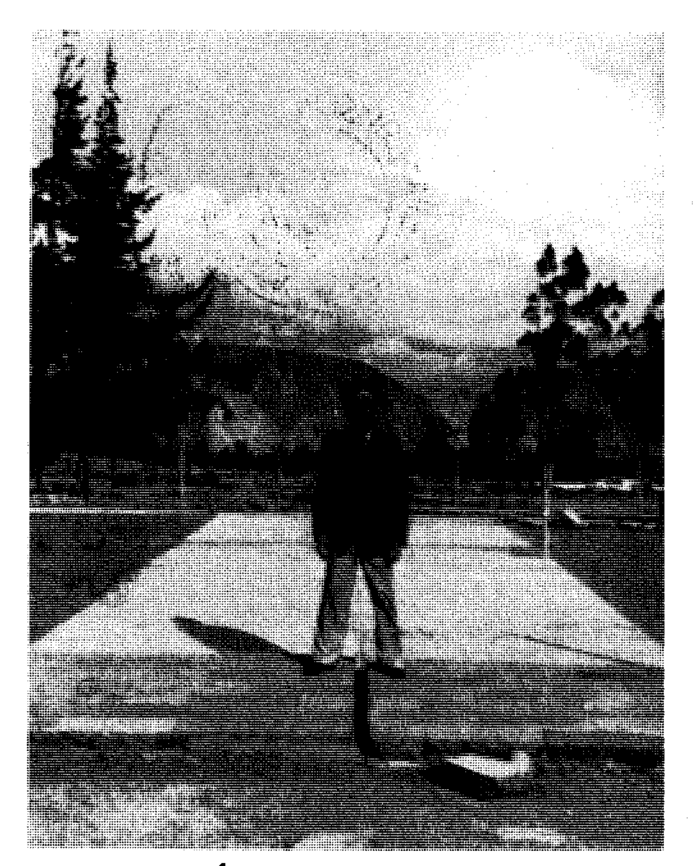

المؤلف يضع أحدى قدميه في شمال الارض والأخرى في جنوبها فوق العلامة الفاصلة بين النصفين في الإكوادور.

وكنا مع غيرنا من السياح نستجلي معالم المنطقة وأطفال من الهنود الأمريكيين ينظرون وربما كانوا ينتظرون شيئاً ينفحهم به هؤلاء الأجانب غير أنني لم أرهم يستجدون، ولا حتى يعرضون بالاستجداء وقد لاحظت أنهم في هذه المنطقة الجبلية أصفى ألواناً وأكثر بياضاً من جمهرة الهنود الذين رأيتهم في (كيتو) الذين ربما كان بعضهم قد جاء إليها من أماكن منخفضة.

وبعد الانتهاء من الوقوف عند هذا النصب العجيب الذي كان عجبه أو قل: كانت أهميته لنا من كونه يدل على خط الاءستواء في مكان بارد من قارة نائية عن بلادنا العربية وهي أمريكا الجنوبية.

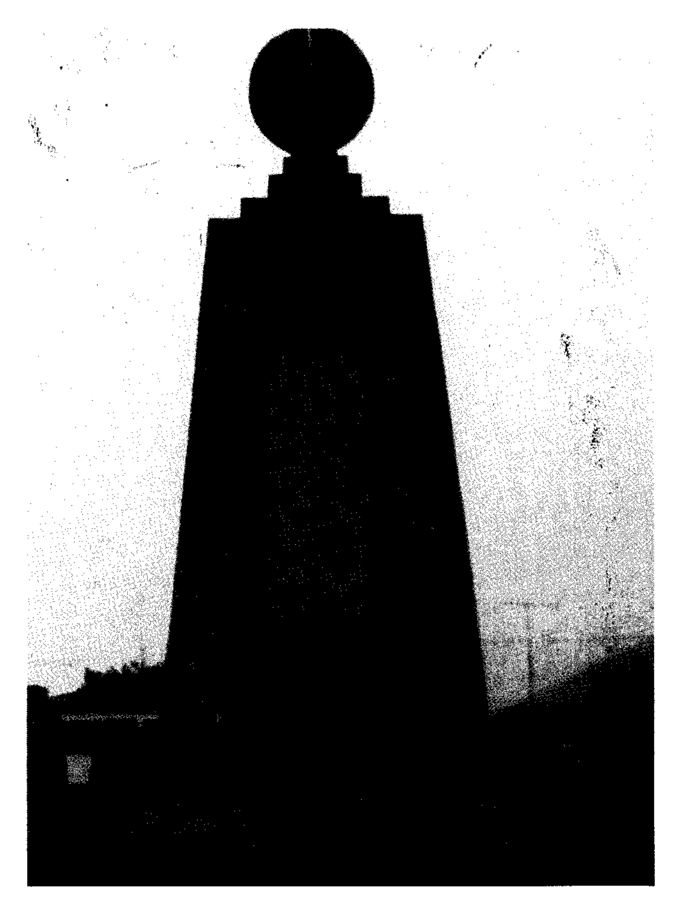

المؤلف تحت نصب خط الاستواء في الإكوادور.

واشترينا من محلات هناك على هيئة سوق شعبي صغير تحفاً ومصنوعات محلية وفي هذه المحلات عرضوا أزياء وطنية وصوراً للنصب القديم لخط الاستواء.

شهادة اجتياز خط الاءستواء :

وجدنا في هذه المحلات شهادات مطبوعة قد تركوا اسم الشخص وبلده خاليين فيها وتقول ما معناه بعد كتابة اسمي عليها:

هذه شهادة بأن السيد (محمد بن ناصر العبودي) قد وصل إلى وسط الأرض ووضع قدمه فوق خط العرض الأعظم من كوكب الأرض

أي خط الصفر وهو خط اءلاستواء، من سان انطونيو دي فيثينتشكا.

وقد وقع الرفاق وقائد الرحلة على هذه الشهادة وسط مرحهم وضحكهم وقلت لهم: إنني قد اجتزت خط الاستواء أكثر من عشر مرات ولكن كان ذلك من جهات أخرى غير جهة الاءكوادور، وفي قارات آسيا وإفريقية، وأمريكا الجنوبية أيضاً عندما سافرت من فنزويلا إلى البرازيل ولكن هذه المرة لها في نفسي اعتبار خاص.

وقد تركنا نصب خط الاستواء دون أن نترك خط الاءستواء نفسه إذ اتجهنا جهة الجنوب الغربي منه مع طريق جيدة تصعد الجبل ثم تنحدر منه.

وقابلتنا سيارة محملة بالموز فقال الدليل: إنها محملة بالموز لأننا بلاد منتجة للموز بل نحن نصدره، فقلت له هذا صحيح وأنا اشترى في بلادي كثيراً موز الاءكوادور ولما أخبرني عن سعره هنا عرفت أنه يباع في بلادنا أرخص منه في هذه البلاد كما كنت قد عرفت من قبل أن تفاح تشيلي يباع في الرياض بسعر أرخص كثيراً مما يباع به في (سانتياجو) عاصمة تشيلي.

وهذا الشأن نفسه هو شأن الدجاج الفرنسي الذي يباع في فرنسا أغلى مما يباع به في الرياض والسبب في ذلك أن السلع المصدرة تعفى من ضريبة الاستهلاك حرصاً من الدولة المنتجة على الحصول على العملة الأجنبية الصعبة.

ولمناسبة الحديث عن الموز قال الدليل: إن لدينا نوعاً آخر من الموز يستعمل للطبخ فقط. فقلت له: إذاً أنتم تستعملونه كما يستعمله أهل المناطق الاستوائية في إفريقية إذ يوجد أناس منهم مثل أهل يوغندا

هو الغذاء الرئيسي لهم ويسمونه (موتوكا).

ثم اخترقنا ريفاً يقع إلى الشمال الغربي من المدينة مع طريق في لحف جبل.

ومن الأشياء التي شاهدناها أنه كان أمام سيارتنا شاحنة كبيرة تنفث دخاناً كثيفاً وهي تحاول صعود الجبل فأسرعت إليها سيارة للشرطة صغيرة من طراز (فولكس فاجن) على ظهرها المصباح الأحمر المميز لسيارات الشرطة وقال الدليل: إن الشرطي أوقف هذه الشاحنة وسيعاقب سائقها لأنها تنفث دخاناً كثيفاً يدل على أن محركها غير سليم ويلوث الجو بالأذى.

العودة إلى كيتو :

ثم عدنا إلى العاصمة مع طريق جيد اسمه (لابرنسا) قال الدليل: إنه طريق شق حديثاً لا يزيد عمره على سنتين وقد هدمت الحكومة منازل كانت تعترضه وعوضت أهلها، وهذا كله بعد بدء تصدير النفط بطبيعة الحال فهم إذاً مثلنا في هذا الأمر.

وهم مثلنا أيضاً في وجود أعداد جديدة من السيارات لديهم وإن لم تصل في الكثرة إلى مثل ما هي عندنا ولكن السيارات الكثيرة والطرق الحديثة مما يغري السائقين بالسرعة لذلك وضعوا في الأرض قبل التقاطعات الخطرة في الطرق أشياء تشبه المسامير الغليظة بمثابة (المطيات) الاصطناعية التي تحمل السائق على أن يهدىء من سرعته.

ثم مررنا قبل الوصول إلى قلب المدينة بمحطة أمريكية للاذاعة والمراد بالأمريكية هنا النسبة إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

وقال الدليل: إن هذه المحطة تذيع بثلاث لغات هي الأسبانية

والانكليزية ولغة (كيتشوا) وهي لغة رئيسية للهنود الأمريكيين الذين يقطنون في الاكوادور وبوليفيا وبيرو.

وكان العود إلى (كيتو) قبل الغروب بحوالي نصف ساعة ورأينا الناس في مواقف الحافلات بأعداد ليست كثيرة مثل فنزويلا أو بيرو. وذلك لأن انتهاء العمل في هذه البلاد في الساعة الخامسة من بعد العصر.

وقد مررنا بمدرسة عسكرية عالية أخرى ولم يعلق السائق على ذلك وإنما علق على كتابتي بالعربية وقد رآني أكتب في مذكرة صغيرة فقال إني أرى أن الكتابة العربية صعبة ولذلك أظن أن اللغة العربية صعبة جداً.

فقلت له إن العربية وكتابتها هذه التي تستصعبها كانت لغة العلم والثقافة في أسبانيا مدة سبعمائة سنة.

فقال هذا من أسباب وجود كلمات كثيرة عربية في اللغة الأسبانية التي نتكلم بها في هذه البلاد.

إستئناف الجولة في العاصمة :

كنا نظن أن الجولة في (كيتو) قد انتهت غير أن الدليل قال: لقد حرصت على أن أبدأ بالأماكن التي تقع خارج العاصمة حذراً من المطر والضباب ولذلك سنكمل جولتنا في العاصمة الآن.

وكان السحاب كثيفاً جداً والجو بارد فكان يرينا بعض الأماكن ونحن في السيارة من ذلك المنطقة التجارية الحديثة وبناء المجلس النيابي أو (الكونجرس) وهو بناء حديث أمريكي الطراز فاخر وقال الدليل: لقد أغلقه الجيش. فقلنا: لا عجب في ذلك في هذه البلاد الأمريكية الجنوبية التي أصبحت فيها الانقلابات العسكرية وحكم الجيوش تكاد تكون هي القاعدة.

يستغرق بناءها مائة سنة :

مررنا بكنيسة عظيمة في منطقة عالية مشرفة فأشار إليها الدليل وقال من دون أن نذهب إليها: انظروا إلى هذه الكنيسة. لقد مضى على بدء البناء فيها مائة سنة ولم ينته حتى الآن.

وذكر أن السبب في ذلك أن الذين أسسوها يريدونها غاية في الجمال والإتقان، وليس عندهم مال. ولذلك كانوا يجمعون التبرعات وينفقونها ثم يقفون حتى يجمعوا تبرعات أخرى. ولم يرض القائمون على بنائها أن يكملوها على غير الطريقة التي رسمت عليها من قبل.

وهذا شاهد ينبغي أن يأخذ منه العبرة بعض الذين يتقاعسون عن بناء المساجد في بلاد محتاجة إليها بحجة عدم توفر النقود اللازمة لبنائها قبل أن يبدأوا بذلك.

عود إلى المدينة القديمة :

وعاد الدليل بنا إلى المدينة القديمة التي يسميها كما يسميها غيره المدينة الاستعمارية (كوليان ستي). وفي هذه المرة أوقف السيارة وأخذنا في جولة على الأقدام حيث كان في المرة الأولى قد مر بها من دون أن ننزل من السيارة..

قال ونحن نتجول فيها: انظروا إلى الشوارع إنها ليست واسعة لأنهم لم يكونوا بحاجة إلى الشوارع الواسعة في ذلك الوقت والأرض غير مستوية. والبيوت بيضاء الطلاء إلا أن لها أساسات زرقاء وبعض البيوت مبنية بالآجر والطين، ولكنها مطلية بطلاء أبيض يخفي الطين.

ولقد شعرت بمتعة عظيمة عند التجول فيها أكثر مما شعرت بذلك في جولة في المدينة الحديثة كلها ربما كان ذلك لكوني شعرت بتأثير

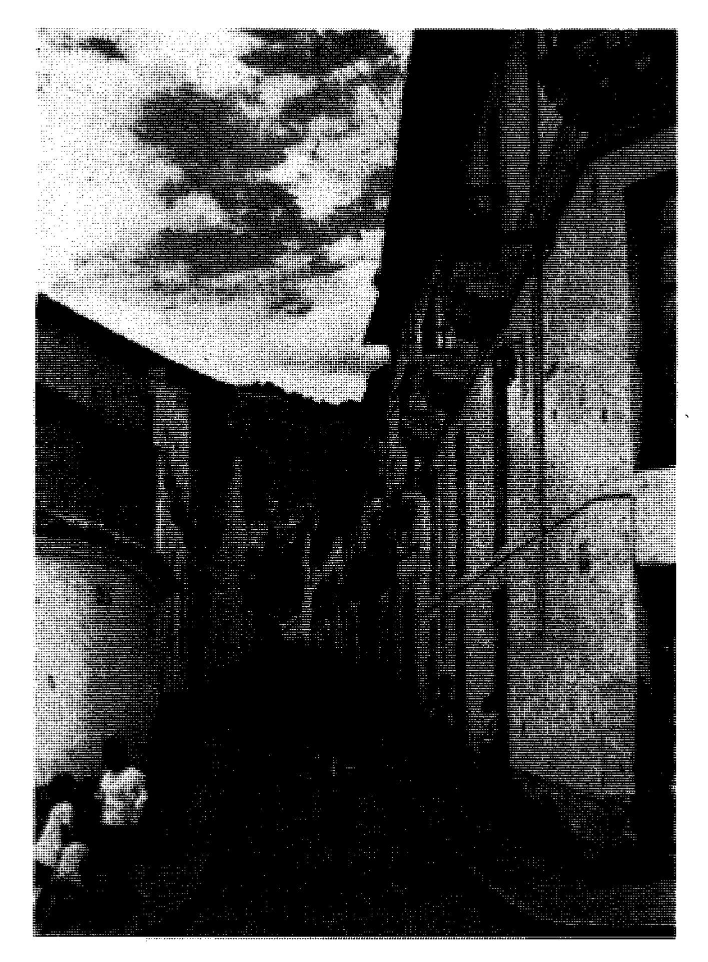

شارع ضيق في المدينة الإستعمارية (الحي القديم) في مدينة كيتو في الإكوادور.

العرب المسلمين واضحاً في أبنيتها ونوافذ البيوت فيها أو ربما لكونها من طراز غير شائع أو مألوف في أكثر البلدان.

ومع كون ما ذكره عن ضيق شوارعها صحيح فإنها ليست بالغة الضيق إذ تتقابل سيارتان في الشارع الواحد، والمرور فيها منتظم رغم كثرة السيارات إلا أن الوقوف فيها صعب إلا في أماكن متسعة خاصة.

وقد لاحظت كثرة شرطة المرور الذين يسيرون الحركة بإشارات من أيديهم أكثر من الاعتماد على الاشارات الضوئية.

بين كل كنيسة وكنيسة: كنيسة :

في هذه المدينة القديمة يصح القول الشائع (بين كل كذا وكذا: كذا) ولكن على وجه آخر وهو «بين كل كنيسة وكنيسة: كنيسة» فرغم كونها صغيرة تعتبر الآن حياً من أحياء مدينة «كيتو». فإنها تضم عدداً كبيراً من الكنائس قال الدليل: إن عددها اثنتان وأربعون كنيسة وقال: انظروا هذه الساحة التي لا تزيد على مائة متر فيها ثلاث كنائس.

وكان هذا صحيحاً وهو أمر ظاهر إذ كان بناء هذه المدينة وتشييد تلك الكنائس إبان الفورة الدينية المسيحية.

وكانت الملاحظة الظاهرة كثرة المشاة والزحام الشديد عند المحلات التجارية فيها مما لم أر له مثيلاً في الأحياء الأخرى.

وقد مررنا في أثناء تحوالنا بكنيسة كبيرة ذات طراز عربي خالص حتى إن برجها يشبه الصومعة التي هي المنارة الأندلسية التي لا يزال طرازها باقياً في المغرب العربي.

وفي مكان آخر كان هناك باعة يشوون اللحم والموز ويبيعونه بمقادير قليلة على الآكلين الذين يأكلونه وهم واقفون.

أول كنيسة وآخر كنيسة :

قال الدليل: سأوريك أول كنيسة فخمة بناها الأسبانيون عندما أقاموا في هذه البلاد ثم أريك آخر كنيسة بنيت في عهد الأسبانيين قبل استقلال البلاد الذي حصل في عام ١٨٢٢م.

ثم تقدمنا ونحن نسير على أقدامنا لصعوبة مرور السيارات في هذه المدينة القديمة حتى وصلنا إلى ساحة واسعة مبلطة بالحجارة الصغيرة السوداء تتوسطها نافورة من حجارة سوداء أيضاً وقد منعوا دخول

السيارات ووقوفها في هذه الساحة التي تحيط بها من جهات ثلاث البيوت القديمة ذات الطراز العربي الأندلسي.

ميدان قديم في مدينة كيتو في الإكوادور.

وفي إحدى جهاتها بنوا هذه الكنيسة الكبيرة التي اسمها (سان فرانسيسكو) وتعني: القديس فرانسيسكو وهو رجل من رجال الدين المعظمين عند الكاثوليكيين سموا على اسمه أماكن كثيرة لعل من أشهرها مدينة (سان فرانسيسكو) في الولايات المتحدة التي كانت عند تأسيسها تابعة للمكسيك ذات الثقافة الأسبانية وربما لا ينافسه إلا رجل دين كاثوليكي آخر هو (سانت ياقو) أو القديس يعقوب.

ويصعد إلى هذه الكنيسة من هذه الساحة الواسعة على درج حجري عريض عالٍ وقد بنيت الكنيسة على مكان مرتفع بطبيعته.

وكان تاريخ بنائها في عام ١٥٥٤م أي: منذ أربعمائة وثمان وعشرين سنة من السنين الميلادية ويساوي ذلك حوالي أربعمائة وخمسين سنة من السنين الهجرية.

كان أول مالفت نظري عند دخولي إليها بابها الكبير والطراز الأندلسي الظاهر.

ومن إلقاء أول نظرة عليها من الداخل تبين أنهم قد بالغوا في تجميلها والانفاق عليها وقد طلوا أجزاء كثيرة منها باللون الذهبي.

وصادف دخولتا إليها ونحن الآن بعد غروب الشمس بقليل أن كان القس يلقي الموعظة فيها على جماهير المصلين الذين رأيناهم قد جثوا على ركبهم سواء منهم من كان على المقاعد أو من كان على الأرض وقد رأيت امرأة مسنة تجهش بالبكاء وهي على هذه الحالة.

وكان فيها مقادير كبيرة من باقات الزهور في أماكن كثيرة منها. وقد أكثروا من إضاءة الشموع والأنوار الكهربائية الهادئة مما جعل للزهور منظراً خاصاً أما القس أو الكاهن ــ لا أعرف رتبته بالضبط ــ ولكنه الذي يلقي الموعظة فإنه كان جالساً على مكتب فوق المنصة الكبيرة المرتفعة التي تشبه المسرح والتي هي غارقة بالزهور الملونة والشموع المضاءة.

ثم انتقلنا إلى مشاهدة هذه الكنيسة الكبيرة التي قال الدليل: إنها آخر كنيسة أنشئت في عهد الأسبانيين.

وهي مبنية على الطراز الصيني وهو طراز لا يعجبنا إذْ هو مخالف

للذوق العربي الذي تعجبه الخطوط المستقيمة المتناسقة في الفن.

وأكثر الأجزاء الداخلية في هذه الكنيسة على سعتها مموه بالذهب مما يعطي الناظر إليه في الضوء الخافت أنه من الذهب الخالص.

وقد صادفنا الصلاة تقام فيها أيضاً والكاهن يلقي موعظة على جمهور من الناس قد جثوا على ركبهم فوق المقاعد الخشبية.

ومن أغرب ما فيها أعمدتها التي هي غليظة بسبب ضخامة البناء وهي كذلك غير متساوية في الغلظ. فهي تبدو كالشخص السمين الواقف الذي وسطه أغلظ من أسفله وأعلاه. وكذلك المحاريب والأركان فيها غير متناسقة في نظرنا.

وتركناها غير معجبين رغم النفقة العظيمة التي أنفقت في بنائها. فأرانا الدليل مكتب رئيس الجمهورية في المدينة القديمة يتقدمه رواق طويل وذكر الدليل أنه بني عام ١٦١٢م وقبابة وباحته الداخلية على الطراز الروماني وكله مبني بالحجارة.

وقد صادفنا خروج طالبات المدارس الثانوية من الفترة التي تدرس ما بعد الظهر ولباسهن الموحد قميص (فستان) أبيض فوقه صدري أسود ذو أكمام طويلة واللباس على وجه العموم هو ساتر وغير متبرج.

على قمة الجبل :

قال الدليل بعد أن لبثنا مدة في المدينة القديمة: إن زيارة (كيتو) لا تعتبر كاملة بدون رؤية المدينة من الجبل في الليل.

وقد سرنا في الجبل الذي يحيط بالمدينة من جهة الجنوب الغربي حتى قاربنا أن نصل قمته في طريق جيد فأوقف سيارته وقال: أعلى

ارتفاع هنا هو ثلاثة آلاف ومائة متر فوق مستوى سطح البحر، وهذا المكان اسمه (باني سديو) وقد بدت المدينة ذات أنوار مبهجة في امتداد طويل من الجنوب إلى الشمال، إلا أن بعض ضواحيها قد حال بيننا وبين رؤيتها الضباب وقد تجاوزت الساعة الآن السابعة والنصف والشمس تغرب في السادسة.

ثم ذهبنا إلى مكان مرتفع آخر في الجبل الغربي من المدينة لرؤية أجزاء أخرى من المدينة في الليل فبدت رائعة الأضواء، وبخاصة أن هذا المكان يشرف على المدينة القديمة أو الاستعمارية كما يسمونها.

ثم عدنا إلى قلب المدينة الحديثة واخترقنا نفقين في جبلين على الطريق وفي كل نفق منهما مساران احدهما للذاهب والآخر للآيب.

وقال الدليل: إن هذين النفقين قد شقا قبل ثلاث سنوات فقط وذلك بعد أن توفرت للاءكوادور نقود من تصدير النفط.

وبدأ بتوزيع الرفاق على فنادقهم فكان كل واحد منهم يودع زملاءه وداعاً حاراً. وعندما وصلت إلى فندقي وأعطيته ثمن الجولة وزيادة قليلة بمثابة حلوان (بقشيش) شكر وانحنى بالتحية عدة مرات.

وكانت العودة في الثامنة والنصف بعد جولة ممتعة.

يوم الجمعة ٢٠ /٣ /١٤٠٢هـ ١٥ /١ /١٩٨٢م :

قبل مغادرة الاءكوادور :

انطلقت أسير على قدمي في مدينة (كيتو) أحاول أن أودع هذه المدينة البعيدة عن بلادنا بنظرات إلى أشياء فيها لم أرها من قبل.

فكان أهم ما رأيته مظاهرة طلابية كبيرة لعدد من طلاب المدارس

الثانوية وطالباتها ومعهم معلموهم من مدرسين ومدرسات وكانوا يهتفون هتافات منتظمة سألت عنها بعض المارة فأخبروني أنهم يطالبون بمبنى جديد للمدرسة الثانوية.

وقد اتسمت هذه المظاهرة بالهدوء والنظام رغم كون القائمين بها من الطلاب المراهقين إلا أن معلميهم كانوا يتقدمونهم. وكانت سيارات من سيارات الشرطة الصغيرة من طراز فولكس فاجن تصحبهم أيضاً تحافظ على النظام لئلا يسيء إليهم أحد أو يسيئوا إلى أحد.

وقد أغلقت شرطة المرور الشوارع التي يسلكونها وحولت السيارات إلى شوارع أخرى.

أما المارة فإنهم لا يبالون بهم إلاّ ما كان من بعض الصبية الذين يقفون للتفرج برؤيتهم. وعندما رأيت ضخامة هذه المظاهرة وانضباطها ومناداة المتظاهرين بأبنية جديدة للمدرسة الثانوية سألت نفسي: ماذا لو حصلت هذه المظاهرة في بعض البلدان العربية؟

لاشك أن كونها ستسير بنظام. وتنتهي بسلام أمر مشكوك فيه. ثم رجعت إلى فندقنا الودود (إنكا امبريال هوتيل) ودفعت الحساب لفتاتين كانتا تعملان فيه، فكانتا تودعان بلطف وبخاصة عندما رأتا الحلوان (البقشيش) لا بأس به.

ومن العادات الجيدة في كل أقطار أمريكا الجنوبية التي زرتها في هذه الرحلة أنهم لم يطلبوا دفع الأجرة مقدمة في جميع فنادقها إلا ما كان من فندق (هولدي إن) في جزيرة ترينداد إن صح انها من أمريكا الجنوبية لأنها منفصلة عنها جغرافياً وهي أيضاً تخالفها لغوياً وعنصرياً وثقافياً.

وعلى عكس ذلك فنادق أمريكا الشمالية وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية التي تطلب تقديم الأجرة قبل أن تعطي النزيل مفتاح الغرفة.

ثم غادرنا الاكوادور قاصدين مدينة (بوغوتا) عاصمة كولومبيا وقد قصصت قصة السفر فيها وفي غيرها من أقطار تقع إلى الشمال منها في كتاب «**رحلات في أمريكا الوسطى**» وهو كتاب مطبوع.

المحتويات

الى بلاد الإكوادور : وسط العالم